

فاتتني صلاة..

لماذا يحافظ البعض على الصلاة
بينما يتركها الكثير؟

تعرف على أسرار هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة ..

إسلام جمال

مؤلف كتاب آيات تغير حياتك

اسم الكتاب : فاتتني صلاة

اسم الكاتب : إسلام جمال

رقم الإيداع : 21751 / 2018

الترقيم الدولي : 9789778350623

الطبعة الأولى : 2018

إخراج داخلي : هيام فهم

صادر عن : مؤسسة رَحمة كُتَّاب للثقافة والنشر

15 ش السباق – مول المرييلاند – مصر الجديدة



www.za7ma-kotab.com



دار رحمة كتاب للنشر



[za7ma_kotab_publishing](https://www.instagram.com/za7ma_kotab_publishing)



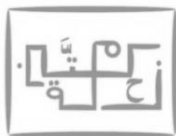
za7ma-kotab@hotmail.com



01205100596

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة رَحمة كُتَّاب للثقافة والنشر



مؤسسة رحمة كتاب للثقافة والنشر

(١)

فاتتني صلاة !!!

لعدة سنوات كنت أتابع ذلك الشيخ العجوز الذي قارب عمره الثمانين فلا أكاد أنظر إلي الشارع قبل وقت الأذان بدقائق إلا وأراه متكأً علي عصاه في طريقه إلي المسجد وقد رُسمت علي وجهه إبتسامة هادئة .. كانت تراودني بعض الأسئلة الممزوجة بالخلج ولكن سرعان ما كانت تواجهها مجموعة من الأعذار الدقيقة فتتلاشي هذه الأسئلة ويتلاشي معها الخلج .. وأحياناً كنت أعود فأنظر إلي الشارع مرة أخرى فأجد هذا العجوز في طريقه لبيته يلقي السلام علي جيرانه فأنظر إلي ساعتي متعجباً وأتذكر أحد الأعذار التي جالت بخاطري قبل الصلاة "إنك مشغول فلتصل عندما تنتهي" !!

فأسائل: هل حقاً كنت أقوم بعمل مهم خلال هذه الدقائق؟!
حتي وإن كنت، ما يضر هذا العمل إن قطعت منه بضع
دقائق!! .. فانتظر تلك العاصفة من الأعذار الدقيقة والإجابات
المقنعة حتي تواجه هذه الأسئلة، ولكنها لم تأتي!! كانت تأتي
فقط قبل الصلاة وتختفي بعدها .. فتركني في صمت عالي،
سكوت ظاهري وضجة داخلية .. لقد فانتني صلاة!!!

وكم أيقظتني طقطقة عصا ذلك الرجل الأنيق المرح وهو في
طريقه ليؤذن صلاة الفجر، وما كنت أعلمه أن للمسجد إمام
يبيت فيه ويؤذن لكل صلاة إلا إنه يترك آذان الفجر لذلك
الرجل ..

لعدة سنوات كنت أسمع طقطقة تلك العصا لا يمنعها بردٌ ولا
مطر، تمر السنين وتبدل الأحوال ومازالت تلك العصي تيقظني،
وكلما أيقظتني واجهتها عاصفة من الأعذار التي تبدو منطقية
فأغرق في سباتي موافقاً أعذارني ..

أقتعتني نفسي أن ذلك الرجل إعتاد أن يسهر حتي الفجر وينام بعده، فهو لديه عمله الخاص ولا يُطلب منه أن يستيقظ مبكراً لذلك كان سهل عليه أن يحافظ علي صلاة الفجر لكل هذه السنوات، أما أنا فالدراسة والجامعة ثم العمل كانت أهم مُججبي لسنوات وكلما ثارت نفسي كنت أطمئنها بأن "يوماً ما" سأفعل.

حتي جاء يوم سألت فيه ذلك الرجل عن عمله وطبيعة يومه فعرفت أنه لا يسهر للفجر كما ظننت بل ينام متأخراً لطبيعة عمله ومع ذلك يستيقظ كل يوم بعد سويعات نوم قليلة ليؤذن صلاة الفجر .. لم تجادلني نفسي هذه المرة فلا عذر لها، ومع فجر اليوم الجديد بعد أن هممت للصلاة، همست إليّ نفسي "إنه فضل الله يؤتيه من يشاء، يوماً ما سيهديك الله" فغرقت في سباتي وقد فانتني صلاة !!

لعدة سنوات كنت أري ذلك العامل البسيط لا تفارق الابتسامة وجهه وكلما نظرت إليه شعرت بالرضا، كانت رؤيته تبعث الطاقة الإيجابية بداخلي .. مجرد أن يسمع الآذان يغلق دكانه ويسير في خطي هادئة إلي المسجد ..

في المرات القليلة التي زرت فيها المسجد لاحظت إنه يتوضأ ويأخذ مكانه بجانب الجدران ويصلي ركعات قبل الإقامة، ولكنها لم تكن صلاة، بل كانت حالة !! حالة من العشق بينه وبين ربه .. صلاة مختلفة .. كنت أسمع له أنين خافت فيثير في نفسي فضول وغبطة ..

كان منغمساً في صلاته وكأنه لا يري أحد، هادئاً مطمئناً خاشعاً، كان يستغرق في الركعة الواحدة الوقت الذي يستغرقه غيره لأربع ركعات، يطيل الركوع والقيام بعد الركوع والجلوس بين السجدين ..

تساءلت في نفسي، ماذا يقول؟ أيعرف أذكّار لا يعرفها غيره؟ ..
أحببت صلاته وتمنيت أن أصلي مثله، ولكني لم أستطع، لم يكن
الأمر سهلاً كما اعتقدت، لم أعرف لماذا فسرعان ما يئست
وعدت كما كنت، فاتتني صلاة بعد صلاة !!

لعدة سنوات كنت أتابع هؤلاء وفي نفسي سؤال كثيراً ما كنت
أفكر فيه وأسأله:

لماذا يحافظ بعض الناس على الصلاة لهذه الدرجة بينما لا
يستطيع الكثير حتى أن يصلي صلاة واحدة؟؟

ما السر في هذا؟ وهل حقاً هذا أمرٌ لا دخل لنا فيه، يؤتيه الله
من يشاء ولا يؤتيه لمن يشاء .. ولو كان الأمر كذلك، فلماذا
سنحاسب على الصلاة أول ما نحاسب، لو كانت الصلاة أمر
إلهي لا دخل لنا فيه لماذا إذاً هذا الثواب والعقاب بشأنها.

كل هذه التساؤلات كانت بداخلي، لذلك كان لابد أن أبحث عن إجابات لها .. فكرة إنني يمكن أن أودع هذه الحياة وليس في صحيفتي سوي ركعات قليلة كانت تزعجني وتؤلمني .. قررت أن أسأل هؤلاء الذين نادراً ما فاتهم صلاة لأتعرف علي أسرارهم، أيضاً درست سيرّ وعادات الناجحين في حياتهم بشكل عام، فوجدت تشابهاً كبيراً بين صفات وعادات الناجحين في المحافظة علي الصلاة وبين الناجحين في حياتهم ممن غيروا الواقع وتركوا بصمتهم ..

وها أنا أكتب لكم هذا الفصل بينما أجلس في مكتبي أستمع بتناول قهوتي بعد أن أستقبلت يومي بصلاة الفجر في وقتها .. تلك العادة التي كان لها الأثر الأكبر في حياتي.

(٢)

يومًا ما !!

كنت أتمنى أن أكون من المصلين، وكنت أعلم أن حياتي ستصبح أكثر سعادة وسكينة لو إنني أصلي، وقد أخبرني كثير ممن لا يصلون بالأمر نفسه، أخبرني أحدهم أن حياته ينقصها فقط أن يصلي، وأخبرني آخر أنه يشعر أن الكثير من أموره ستستقيم له بالصلاة، مع ذلك لم تكن نُصلي، أمرٌ عجيب!! كيف لنا أن نعلم سبيل للسعادة والطمأنينة ونُصر أن نغفله، لماذا نتجاهل الصلاة مع علمنا إنها مصدر للسكينة والراحة، ما السبب إننا إلي الآن لسنا من المصلين؟؟

بحث عن الأسباب ووقفت عند أهمها، وهو أنني كنت أعيش في عالم صنعته لنفسي يسمي "يوماً ما"، وأكثر الذين لا يصلون يعيشون داخل هذا العالم ..

في هذا العالم نحن ننتظر أمراً من السماء حتي تستقيم حياتنا، نعتقد أن حالنا سيتبدل في "يومٍ ما" وسنصبح من المصلين، كلما ثارت نفسي كنت أطمئنها ..

يوماً ما سأصلي الفجر ..

سيأتي يوماً ما أحافظ فيه علي كل الصلوات في المسجد ..
رمضان القادم سيكون بدايتي مع الصلاة ..

يوماً ما ستكون حياتي كما أريد ..

يوماً ما .. يوماً ما .. يوماً ما !!

وفي عالم "يوماً ما" اللغة الرسمية هي الأعذار، أعذارُ تبرر لي لماذا لا أصلي:

فطبيعة عملي لا تسمح لي بصلاة الفجر ..
إنني أعمل لساعات طويلة وأكون مرهقاً ..
لو فاتتني صلاة واحدة أشعر بالإحباط ولا أصلي ..
إني لا أستطيع الخشوع ..
وهكذا مئات الأعذار التي تعزني عن الصلاة ..

وأعذارُ أخرى تبرر لي لماذا يحافظ البعض علي الصلاة، فتحدثني نفسي أن لديهم تركيبة بيولوجية خاصة وأن الله تعالى منحهم قدرات مميزة و"يوماً ما" سيمنحني هذه القدرات وأكون مثلهم.

كنت دائماً أستثني نفسي من هؤلاء وأعتقدت أن حفاظهم علي الصلاة هو أمر مُسلم به، يفعلونه دون مجهود، أما أنا فلا بد لي من مقاومة ومجاهدة حتي أُصلي، فكنت أنتظر ذلك اليوم الذي يتغير فيه حالي بين ليلة وضحاها وأصبح مثلهم، ولكن هذا اليوم لم يأتي !!

مكثت طويلاً في عالم "يوماً ما" حتي تسائلت!! إن الصلاة أول ما نحاسب عليه يوم القيامة، فلو كان الحفاظ عليها - كما أظن - هو أمرٌ إلهي يؤتيه الله من يشاء ولا يؤتيه من يشاء، فلماذا إذن الثواب والعقاب بشأنها، وأين العدل الإلهي إذا كان هؤلاء المصلين يتلقون دعماً سماوياً بينما لا أتلقي أنا هذا الدعم؟؟

أيقنت أن هذا اليوم "يوماً ما" لن يأتي أبداً ولو كنت أنتظر حتي تصبح الأمور مثالية تماماً كي أحافظ علي الصلاة، فسيأتي أجلي وأنا مازلت منتظراً وقد مضى عمري وفي صحتي ركعات قليلة، تلك الصورة التي كانت دائماً تزعجني ..

علمت إنني إذا أردت أن أنضم لهؤلاء المصلين فلا بد أولاً أن أخرج من عالم "يوماً ما"، وألا أنتظر هذا اليوم الذي لن يأتي أبداً بل أصنعه أنا.

أعلم أن الأمر ثقيلاً في بدايته، ولكن بداية الطريق هي أن نطرد فكرة "يوماً ما" من ذهننا ونعلم أن الأمر يعتمد علينا كلياً، وجودنا داخل عالم "يوماً ما" يعني إننا في الاتجاه الخاطيء، إتجاه الأعدار التي لا نهاية لها ولا فائدة للسير في هذا الإتجاه، فالخروج من عالم "يوماً ما" هو البداية للسير في طريق الحفاظ علي الصلاة والتمتع بحياة أكثر سعادة وسكينة، بدلاً من أن نشغل ذهننا بإختلاق الأعدار حتي لا نصلي، فالأفضل أن نشغل ذهننا بإختلاق عوامل تعيننا علي الصلاة، وهذا هو الغرض من هذا الكتاب.

عدم الصلاة .. يظن الكثير أن عدم أداء المهام المطلوب إنهاؤها هو راحة، فيفضل البعض "عدم الصلاة" علي "أداء الصلاة" ظناً منهم أن "عدم الصلاة" يجلب الراحة حتي وصلوا إلي حالة إدمان اللافعل ..

لكن الحقيقة أن المجهود النفسي المبذول ل "عدم الصلاة" يُعادل أو يكاد يكون يكون أكبر من المجهود البدني المبذول ل "أداء الصلاة" .. بل أن "أداء الصلاة" يدخل في دائرة الأنشطة التي تجلب السعادة بمجرد الإنتهاء منها بينما تبعات "عدم الصلاة" تجلب الضيق وتحقير الذات.

إتباع نفس النمط "نمط يوماً ما" الذي باعد بيننا وبين الحفاظ علي الصلاة لن يؤدي بنا إلي نتائج مختلفة ..

هل رأيت ذبابة محبوسة في غرفة مظلمة؟ ربما لاحظت كم هي مستائه من بقائها داخل تلك الغرفة وأن لديها الحافز القوي

للخروج إلى النور ولكنها تندفع إلى النافذة وتضرب الزجاج بجسمها مرة بعد مرة وقد يستمر هذا لساعات دون جدوى، ربما تستهلك هذه الذبابة عمرها كله وفي النهاية لن تستطيع الخروج إلى النور عبر نافذة مغلقة ..

نعم هي مسائه من وضعها الحالي ولديها الدافع للخروج إلى النور ولكنها تسلك الطريق الخطأ وتتبع النمط الخطأ .. كذلك أنا وأنت لن نستطيع الحفاظ علي الصلاة بإتباع نمط "يوما ما" ونمط "الأعذار التي لا تنتهي" ويجب علينا أن نتبع طرق أخرى للخروج إلى النور.

لا مزيد من الأعذار، أنت قت مئات المرات بأعمال أشق عليك من الصلاة، وكنت في أسوأ حالاتك الذهنية والجسدية ..

هذا الشيخ الذي بلغ الثمانين ليس لديه قدرات خاصة، بل هو في حالة جسدية وذهنية أقل مني ومنك بكثير ومع ذلك يحافظ علي

الصلاة .. هذا الرجل الذي يحافظ علي صلاة الفجر لسنوات يحصل علي قدر من النوم أقل مني ومنك ومع ذلك لا تفوته صلاة الفجر .. إذن لا مزيد من الأعذار ..

بداية الطريق هي الإعتراف أنك تستطيع أن تحافظ علي الصلاة أياً كانت الظروف واليقين بأن المصلين ليس لديهم قدرات خاصة، وفي هذا الطريق ستتعلم مجموعة من المهارات أو الأسرار التي جمعتها من خلال حديثي مع هؤلاء الذين قلما فاتهم صلاة، أسأل الله عز وجل أن تنضم لهم، فالحياة مع الصلاة حياة مختلفة تماماً وليست كما تبدو، بل فيها بعض المشاعر التي يعجز وصفها.

(٣)

قبل أن تُصلي

كنت دائماً شغوفاً بمعرفة بداية الأشياء، ولا أستطيع أن أفهم
أمراً معيناً دون أن أعرف بدايته وتاريخه، فكم هو يسير أن تفهم
كيف تطير الطائرة الحديثة المعقدة لو أنك فهمت كيف كانت
تعمل أول طائرة، وهناك مقولة تقول "أن هناك أول مرة لكل
شيء" وأنا أحب جداً هذه المقولة .. ما علاقة هذا بموضوع
الصلاة!!

في الصغر إعتدنا أن يأمرنا آبائنا و معلمينا بالصلاة، فتمثل للأمر
ونذهب لنصلي فنجد أن الصلاة ثقيلة فنتركها، ثم نسمع شيخاً
يتحدث عن الصلاة وأهميتها وعقوبة تاركها، فتمثل للأمر
ونذهب لنصلي فنجد الصلاة ثقيلة فنتركها !!

فكنا نشعر أنهم لا يشعرون بما نشعر به ونظن أنهم يستطيعون الصلاة بإنتظام لأنهم يكبرونا، وعندما كبرنا كبر هذا الشعور معنا، فما زالت الصلاة ثقيلة ومازلنا نعتقد أن من يحافظ علي الصلاة لديه قدرة أو هبة ليست عندنا، مثلاً أنه إعتاد أن يصلي منذ الصغر أو أنه نشأ في بيت محافظ علي الصلاة ..

هذا يسمي في علم النفس بالإستثناء أو العزل، وهو أن تستثني نفسك من أن تنجح أو تحقق أمراً ما بحجة أن من حقق أو نجح في هذا الأمر كانت لديه قدرة أو هبة ليست عندك .. فأصبح لدينا شعور بالعزل تجاه من يصلون لإننا نشعر أن الصلاة ثقيلة علينا ولا نستطيع أن نصلي صلاة واحدة بينما تبدو الصلاة لهم يسيرة بسيطة، والسبب في ذلك اننا لم نحل جذر المشكلة بعد، وهو لماذا تبدو الصلاة ثقيلة ؟!!

تتجلي إجابة هذا السؤال في معرفة بداية فرض الصلاة، فمعرفة بداية الأشياء ييسر فهمها، فُرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، تقريباً بعد اثني عشر عاماً من النبوة ..

ماذا يُعني ذلك ؟!

يُعني أن النبي - صلي الله عليه وسلم - كان يُحدث الصحابة - رضوان الله عليهم - عن الله عز وجل ويتلو عليهم ما أنزل من القرآن لمدة اثني عشر عاماً قبل أن تُفرض عليهم الصلاة !

إن الله عز وجل حكيم خبير، وفرض الصلاة في هذا التوقيت كان لحكمة بالغة، كان من الضروري أن يتعرف الصحابة علي الله تعالى أولاً، صفاته، رحمته، قدرته، حتي يستقر حب الله تعالى في قلوبهم، فيأتي فرض الصلاة عليهم فيجد مكاناً في قلوبهم، بل شوقاً منهم للإتصال مع هذا الخالق العظيم الكريم الودود، هكذا كان أمر الصلاة في قلوبهم.

إذا عُرف الأمر، نفذ الأمر .. عندما تعرف الصحابة - رضوان الله عليهم - علي الله عز وجل أحبوه، فكانت الصلاة في ظاهرها فرض عليهم وفي جوهرها هبة من محبوبٍ لحبيبه للإتصال به ومناجاته، لذلك منهم من كان يقيم الليل كله صلاة

وصلة بالله عز وجل، ومنهم من كان يصلي الضحي اثنى عشر ركعة نافلة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي بالليل حتي ثورم قدماه، ولا عجب في هذا، فكم من حبيب يقضي ساعات مع محبوبه دون ملل، والله المثل الأعلى عز وجل، فكان أمر الصلاة لهم فُسحة للنفس، لأنه ليس كأني أمر، بل أمر من المحبوب.

فأول مهارة عليك تعلمها للحفاظ علي الصلاة وقبل أن تصلي، هي أن نتعرف علي الله عز وجل، وقد خصصت آخر فصل من هذا الكتاب (هكذا عرفته) كمدخل للتعرف علي الله الرحمن، فإن عرفته أحببته، وإن أحببته أطعته، فالله عز وجل رحيم ودود ثواب واسع حافظ، إعتقادك أن علاقتك مع الله تعالي هي علاقة أمر ونهي فقط هو إعتقاد خاطيء، وإعتقادك أن حب الله تعالي ووده هو أمر مقصور علي الأنبياء والشهداء والصالحين فقط هو نقص إيمان ..

الله قريب، عندما وصف المذنبين الذي أسرفوا علي أنفسهم
نسبهم إليه ولم يتبرأ منهم فقال عز وجل "قل يا عبادي الذين
أسرفوا علي أنفسهم .. لا تقنطوا من رحمة الله .. إن الله يغفر
الذنوب جميعاً .. إنه هو الغفور الرحيم".

إذن جدير بك أن تعرف الله حقاً، أن تعرف الله السميع الذي
يسمع دعائك أينما كنت .. أن تعرف الله الشكور الذي يعطيك
علي العمل القليل الشيء الكثير .. أن تعرف الله الصمد الذي
تصمد وتلتجأ إليه في خوفك وفزعك .. الله السلام الذي سلمت
أفعاله من الشر المطلق ولو عرفت الله السلام أحسنت الظن به
وملئت السكينة قلبك .. إن جئته تشكو ضائقة كان هو الواسع
لك .. إن جئته تشكو ألماً كان هو اللطيف بك .. وإن جئته
تشكو غلظة وقسوة كان هو الحنان عليك .. قاهر لمن قهرك،
ومُذل لمن أذلّك.

لا تفوت يوماً إلا وتسمع أحداً يحدثك عن الله تعالى، الأمر ليس صعباً أو معقداً، خمسة عشر أو ثلاثون دقيقة كل يوم ستملاً قلبك تدريجياً بحب الله تعالى ومعرفته، إسمع لشيخ تحب أسلوبه أو قاريء تحب صوته، إستغل أوقات الذهاب أو العودة إلي ومن العمل أو بينما تقود سيارتك أو في أوقات الإنتظار أو قبل أن تنام ..

إستمع لموعظة قصيرة أو قصص الأنبياء أو قصص الصحابة والتابعين أو قصص واقعية عن الصالحين أو قرآن بصوت جميل، حافظ علي هذا الأمر يومياً وستغير حياتك، سيزداد علمك ويرق قلبك، ستعلم حب الله تعالى لك فيزداد حبك له عز وجل ويكون دافع لك أن تصلي.

يقول الله تعالى "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"، لذلك لا أخفيك سر، أنت لا تصلي لأنك لا تعرف الكثير عن الله سبحانه تعالى جده.

لذلك أذكر لك هنا بعض الدعاة المفضلين لدي ولك الحق أن
تختار من تميل إليه نفسك من غيرهم:

- الشيخ محمد راتب النابلسي
- الدكتور عبد المحسن الأحمد
- الشيخ الحبيب علي الجفري
- الشيخ محمد متولي الشعراوي
- الشيخ عمر عبد الكافي
- الدكتور علي أبو الحسن
- الدكتور محمد سعود الرشيد
- الشيخ مبروك زاد الخير
- الدكتور مصطفى محمود
- الداعية مصطفى حسني
- الشيخ نبيل العوضي
- الشيخ صالح المغامسي
- الداعية مشاري خراز
- الشيخ محمد مختار الشنقيطي

أيضاً القاريء فهد الكندري له برنامج رائع اسمه "إهتديت بالقرآن" فيه قصص من إعتنقوا الإسلام حديثاً، ستشعرك هذه القصص بنعمة الإيمان وتعززها في قلبك، ستري أناساً إمتلكوا الكثير والكثير من متع هذه الدنيا ومع ذلك لم تُشبع هذه المتع والذات جوع روحهم ولكن بعد أن عرفوا الله سبحانه وتعالى عاشوا وكأنهم يمتلكون الدنيا كلها.

وبعض قراء القرآن:

- القاريء أحمد النفيس
- القاريء عمر شلي
- القاريء وديع اليمني
- الشيخ مشاري العفاسي
- الشيخ محمد صديق المنشاوي
- الشيخ عبد الرشيد الصوفي
- القاريء ناصر القطامي
- القاريء حاتم فريد
- القاريء إدريس أبكر

أيضاً إستمع لمناظرات الشيخ أحمد ديدات وتلميذه الشيخ ذاكر نايك، هم علماء في مقارنة الأديان.

إستمع إلي القصائد الدينية، ستعجب بها كثيراً ومنها:

(أطع أمرنا / سامر الدرة) - (أغيب / مشاري راشد) -
(ليس الغريب / مشاري راشد) - قصائد المنشد مصطفى عاطف ...

وإن كنت ممن يحبون القراءة، يمكنك قراءة كتب صغيرة فيها مواعظ رائعة، وهناك كتاب اسمه "أنيس المؤمنين" يحتوي علي قصص رائعة للصحابة والتابعين والصالحين.

أيضاً خصص خمس دقائق كل يوم لذكر الله تعالى بتركيز مع تفريغ قلبك من أي عملاً آخر، أذكر الله تعالى فقط بهدوء وسكينة ولتعي ما تقول ولا تسرع وأنت تذكر الله، كن هادئاً متقناً، فالعبرة بمن هو أحسن عملاً لا بمن هو أكثر عملاً.

أحب الأعمال إلي الله تعالى، أدومها وإن قل .. فكلمها حافظت
علي تلك الأعمال البسيطة التي لا تحتاج إلي الوقت الكثير ولا
المجهود الكبير كلما قويت روحك وأعانتك علي وسوسة
الشيطان، فالتذكير والذكر غذاء للروح كما الطعام غذاء للجسد،
يمكنك أن تشتري لوحة صغيرة عليها آية:

"وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

ضعها في غرفتك أو سيارتك أو مكتبك أو إجعل هذه العبارة
خلفية لهاتفك أو حاسوبك الشخصي حتي تتذكر دائماً أن تستمع
أو تقرأ شيئاً يذكرك بالله عز وجل، بمرور الوقت ستشعر بالتغير
في حياتك فهذا أحد اسرار الذين يحافظون علي الصلاة وتعلقت
قلوبهم بالمساجد.

(٤)

أنت أفكارك

شئت أم أبيت، فإن الحوار الذي يدور داخل عقلك هو من يسير حياتك، فما أنت إلا مجموعة من الأفكار، وما تفعله في حياتك كل يوم ما هو إلا تنفيذ للأفكار التي تسيطر على عقلك، وإذا أردت أن تُحسن أي جانب من جوانب حياتك فلا بد أن تُحسن أفكارك تجاه هذا الجانب، وهناك مبدأ نفسي يقول:

"أيّا كان إعتقادك .. بأنك سوف تنجح في أمرًا ما .. أولن تنجح فيه .. فأنت على صواب في الحالتين"

فأنت لا تستطيع أن تنجح في أي أمر إلا إذا أعتقدت أولاً إنك تستطيع أن تنجح فيه.

عندما سُئل الملاك المشهور محمد علي كلاي عن سر نجاحه، قال إنه كان دائماً يردد عبارة "أنا الأعظم" - والتي غيرها بعد أن أعلن إسلامه إلى الله الأعظم - حتي أصبح بالفعل أعظم ملاك عرفه التاريخ، وهذه العبارة كانت تساعد علي الإلتزام بأداء التدريب اليومي وكان يستخدمها في اللحظات الصعبة في كل مباراة، ولو لم تكن هذه الفكرة تسيطر علي عقل كلاي لما استطاع أن يحقق هذا النجاح.

لا تستهين بالأفكار المخترنة داخل رأسك، فكل الأعمال النبيلة كانت نتيجة أفكار، كذلك كل الجرائم والحروب كانت بدايتها أفكار، وكيفيك أن تعلم أن سلاح إبليس الوحيد هو الوسوسة، وما الوسوسة إلا التأثير السلبي علي الأفكار، لذلك عليك أن تحمي عقلك من الأفكار السلبية والهدامة وأن تستبدلها دائماً بأفكار إيجابية بنائة.

عقلك مثل التربة التي تقبل زراعة أي أنواع من النباتات، أي شيء تزرعه فيها ستحصده، فهو يقبل أي أفكار تزرعها فيه دون أن يجادلك أو يسألك ما إن كانت هذه الأفكار صحيحة أم خاطئة، بنائه أم هدامة، ومع مرور الوقت تصبح هذه الأفكار هي من تُشكل عاداتك وسلوكك.

تذكر مرة شعرت فيها بالإحباط أو الضيق أو الحزن بسبب كلام سمعته من شخصٍ ما، وتذكر أيضًا مرة شعرت فيها بالإمتنان أو السعادة بسبب كلمة قالها لك شخص ما، سواء كان هذا الشخص صديقك أو أحد أفراد عائلتك أو حتي لا تعرفه ..

يمكن لكله يقوله لك أي إنسان أن تؤثر علي شعورك بدرجة كبيرة لذلك قال سيدنا -عليه الصلاة والسلام - "والكلمة الطيبة صدقة" لأن الكلمة الطيبة لها تأثير بالغ علي من يستقبلها ..

كذلك الكلام الذي تُحدث به نفسك في صورة أفكار يؤثر عليك بنفس الدرجة حتي وإن كنت صامتاً ظاهرياً، فيمكن لحديث النفس أن يجعلك تشعر بالسعادة أو الحزن، بالأمل أو الإحباط، بالإمتنان أو التذمر، فالأولي أن نتصدق علي نفسك وتُحدثها بالكلام الطيب.

ما تحدثك به نفسك عن الصلاة وصورتك الذهنية عنها يساهما بقدر كبير في حفاظك علي الصلاة أو تركها، ربما يكون لديك بعض الذكريات السيئة مع الصلاة التي رسمت صورتها في ذهنك علي إنها عمل ثقيل أو عبء عليك الإنتهاء منه أو تركه وجعلك تحدث نفسك بأنك لا تستطيع أن تحافظ علي الصلاة أو إنك لم نتعود عليها ولن تخشع فيها أو أن المصلين لديهم قدرات وظروف خاصة ليست عندك، هذه الصورة لا تعكس جوهر الصلاة الحقيقي وكلما ذُكرت نفسك بالله عز وجل وزاد علمك به سبحانه - كما ورد في الفصل السابق - كلما تغيرت هذه الصورة تدريجياً.

◀ الألم والسعادة

يخبرنا علماء النفس بأن كل ما نفعله من نشاطات في حياتنا اليومية إنما نفعله بدافع أن نتجنب الألم الناتج عن عدم فعله أو لجلب السعادة الناتجة عن فعله، فالألم والسعادة هما اللذان يسيطران علي دوافع بني البشر..

فثلاً بعض الأشخاص يحملون أنفسهم علي الذهاب إلي أعمالهم كل صباح رغم عدم حبهم لها لتجنب شعور الألم الناتج عن عدم الذهاب إلي العمل، وهو الفصل وعدم القدرة علي دفع الفواتير وما يترتب عليه ..

بينما نجد أشخاص آخرون يحافظون علي الإستيقاظ مبكراً بانتظام حتي في أيام العطلات - وهو الأمر الذي لا يحبه الكثير- لأنهم وجدوا الإستيقاظ مبكراً يجلب لهم شعور السعادة ..

والعجيب أن ما يكون قناعتنا حول ما يسبب لنا الألم أو ما يجلب لنا السعادة هي أفكارنا فقط، ربما نتذكر إحدي المرات

التي كان يتوجب عليك أن تقوم بأمر معين لا تحبه وكيف أن أفكارك صورت لك صعوبة هذا الأمر وثقله عليك لكن بمجرد أن تبدأ هذا الأمر وتستغرق فيه تنسي أصلاً ما كنت تشعر به من قبل وتجد أن الأمر لم يكن بالصعوبة التي تصورتها ..

بالطبع تأتي هنا أداة الشيطان الأساسية وهي الوسوسة فيصور لك الصلاة علي إنها عمل ثقيل مؤلم مراراً وتكراراً حتي تترسخ هذه الصورة في ذهنك ..

< ميل الأربع دقائق

ربما تعتبر قصة ميل الأربع دقائق من أهم القصص التي توضح كيف أن تغيير القناعات يمكن أن يحقق ما يظنه الناس مستحيلاً ..

فلاآلاف السنين كان الناس يتمسكون بالإعتقاد بأن من المستحيل علي الإنسان أن يقطع مسافة الميل في أقل من أربع دقائق، غير أن روجر بانيستر Roger Bannister حطم هذه القنائة في عام ١٩٥٤ بعد أن نجح في قطع مسافة ميل في أقل من أربع دقائق !!

ويحكي روجر بأن السبب في ذلك لم يكن فقط التدريب الشاق بل أنه كان دائماً يتصور نفسه وهو يحطم هذا الرقم ويحدث نفسه بأنه يمكنه تحقيق ذلك حتي أصبح الأمر من قناعاته الشخصية التي لا تقبل النقاش .. علاوة علي ذلك، ففي غضون عام واحد مما حققه روجر كان ٣٧ آخرون من ممارسي رياضي الجري قد حطموا هذا الرقم أيضاً فتجربته شكلت بالنسبة لهم نقطة مرجعية قوية Reference Point غيرت قناعتهم حول ما يمكن تحقيقه.

◀ صورة الصلاة

إغتم أياً من ذكرياتك الجميلة مع الصلاة وإجعلها تعكس صورة الصلاة في ذهنك، تذكر يوماً صليت فيه صلاة خاشعة مطمئنة كان فيها المسجد هادئاً صافياً، تذكر تلك المشاعر التي ملئت قلبك وأنت تُصلي التراويح في رمضان أو تذكر صلاة أحد المصلين التي أحببتها وتمنيت أن تصلي مثلها.

جاهد عقلك أن يتصور هذه الصور الجميلة للصلاة، كلما صور لك الشيطان الصلاة بأنها عمل ثقيل عليك الإنتهاء منه أو تركه، جاهد نفسك أن تطرد هذه الأفكار من رأسك وتستبدلها بأفكار أكثر إيجابية، فأنت لا تستطيع أن تفكر في أمرين في الوقت نفسه، كلما جاهدت نفسك أن تجعل صورة الصلاة في ذهنك مرتبطة بالسكينة والسعادة والطمأنينة -حتى وإن لم تُصلي بعد- سيتقبل عقلك هذه الصورة كحقيقة ولن تقوي عليك وسوسة الشيطان.

وعلمنا النبي - صلي الله عليه وسلم - هذا المعني الجميل عندما قال "أرحنا بها يا بلال" .. أراد سيدنا عليه الصلاة والسلام أن ترتبط صورة الصلاة في أذهاننا بالراحة والسكينة وهو من أهم الدوافع التي تعين علي الصلاة.

◀ عبارات

أحب دائماً أن أذكر نفسي بعبارة "إلا المصلين" وهي الآية التي وردت في سورة المعارج:

"إن الإنسان خلق هلوعا .. إذا مسه الشر جزوعا .. وإذا مسه الخير منوعا .. إلا المصلين .. الذين هم على صلاتهم دائمون"

فكلها شعرت بالحزن أقول "إلا المصلين" فالحزن لن يستطيع أن ينال مني ما دمت أصلي، وعندما يضيق صدري أقول "إلا المصلين" فأطمئن أن الله تعالى سيشرح صدري ما دمت أصلي،

وحين يصيبني التعب أقول "إلا المصلين" لأن الصلاة قوة، وكلما أسبغ الله عليّ من نعمه أقول "إلا المصلين" فأتذكر أن الفضل كله لله تعالى.

فارتبط معني الصلاة في ذهني بالإتزان والطمأنينة والسكينة، ولا أخفيك سرّاً إن مع مرور الوقت وتكرار عبارة "إلا المصلين" حصدت ما زرعت، فأصبح عقلي هو من يملئها عليّ دون مجهود بعد أن كنت أجاهد نفسي لزرع هذه الفكرة "إلا المصلين" في عقلي.

أيضاً كلما راودتني نفسي أن أُنْهِ الصلاة لتعب أو كسل، ذكرتُها بعبارة "الصلاة راحة" أرددها محدثاً بها نفسي حتي أغلبها، حتي وإن كنت أشعر بالتعب أو الكسل فأنا علي يقين أن شعوري سيكون أسوأ حال إن فانتني تلك الصلاة وسيتحسن شعوري إن دفعت نفسي للحاق بها، فترسخ مفهوم "الصلاة راحة" في ذهني ..

وإني علي يقين أنك جربت هذه الحالة مرة علي الأقل في حياتك حيث تدخل معركة أداء الصلاة أم تركها فتقرر أن تركها فتجد أن شعورك إزداد سوءاً بينما إن قررت أداء صلاة رغم تعبك أو كسلك تشعر بإنشراح الصدر بمجرد أن تنتهي.

إستخدم أي من العبارات التي تشعر بقوتها وإجعلها أداة تدفع بها وسوسة الشيطان وحديث نفسك، أنت في معركة نتوقف عليها سعادتك في الدنيا والآخرة ولا بد أن تحارب شيطانك ونفسك بنفس أسلحتهم، فقد فائتكم صلوات وصلوات بسبب أفكار مختزنة في رأسك لا حقيقة لها، زرعها إبليس ويذكرك بها كل يوم وليلة لأنها سلاحه الوحيد، حتي أثناء تصفيده وغيابه فهو يترك المهمة لنفسك التي لا تجد غير تلك الأفكار فتملئها عليك في صورة حديث نفس.

فأبدأ من الآن في زرع أفكار وعبارات إيجابية حول الصلاة تكون جاهزة لمواجهة حديث نفسك الذي يوسوس لك مع كل وقت صلاة ..

ما أحدثك عنه هو مفهوم ثابت في علم النفس يسمي Self-Talk ويستخدم أطباء النفس تقنية يسمونها "التوكيدات الإيجابية - Affirmations " التي تعالج حالات الإنطواء وفقدان الثقة والإكتئاب، وهي نفس التقنية التي يستخدمها معظم الناجحين من خلال قراءتي لسيرهم، فهم يستخدمون حديث النفس كأداة تعينهم علي تحقيق نجاحهم وتعزيز الثقة في أنفسهم.

◀ استخدم عقلك

تذكر دائماً "أياً كان إعتقادك .. بأنك سوف تنجح في أمراً ما .. أو لن تنجح فيه .. فأنت علي صواب في الحالتين"، هؤلاء الذين يحافظون علي الصلاة يقومون بعملٍ بسيط جداً وهو أنهم يقنعون عقولهم بإستمرار بأنهم قادرون علي أداء الصلوات أياً كانت الظروف، والعقل مثل بقية عضلات الجسد، فكما أن عضلات الجسد تنمو وتقوي بالتدريب والتكرار، كذلك العقل يبني فكرة معينة أو إعتقاد معين بالتكرار، فيقتنع بها وكأنها حقيقة.

مثلاً إذا ذهبت الى النوم في وقت متأخر نسبياً، ستجد مئات الأعذار التي تمنعك عن صلاة الفجر، بينما لو ذهبت للنوم في نفس الوقت المتأخر عليك أن تستيقظ في نفس وقت صلاة الفجر لتلحق موعد الطائرة أو تلحق موعد المقابلة للتقديم في وظيفة جديدة، ستجد مئات الأسباب التي تدفعك إلي الإستيقاظ، وقت النوم هو نفسه ووقت الإستيقاظ هو نفسه ولكن الأفكار التي سيطرت علي عقلك هي من جعلتك تفوت هذا وتلحق بذلك، لماذا ؟

لأن عقلك سيبحث عن كل الاسباب المنطقية التي تدعم الفكرة التي زرعها فيه، هكذا يعمل العقل حتي وإن كانت هذه الفكرة هي فكرة غير صحيحة أو غير منطقية، فما إن أخبرته قبل أن تنام بأنك لن تستطيع أن تصلي الفجر لأنك متعب (فكرة غير صحيحة) فسيمدك عقلك بكل الأسباب التي تدعم هذه الفكرة، وما إن أخبرته إنك يجب أن تستيقظ لتلحق موعد الطائرة أو مقابلة الوظيفة، سيمدك عقلك بكل الأسباب المنطقية التي تدعم فكرتك وتدفعك أن تستيقظ، وربما جعلتك تستيقظ دون منبه.

مادام العقل يعمل بهذه الطريقة، فلماذا لا نستخدم هذه الطريقة لتعييننا علي الصلاة بدلاً من أن نستخدمها لتصارع ضد الصلاة ونختلق الأعذار حتي نتركها، هذا الصراع الدائم بين النفس وبين ترك الصلاة يولد حالة نفسية من تحقير الذات، يولد شعور بأن هناك دائماً شيء مفترق، يجعلك في نهاية اليوم تشعر بالفراغ لأنك صارعت ضد فطرتك ..

علي الجانب الآخر معظم من لا يصلون يشعرون بالسعادة والبهجة إذا صلي أحدهم الفجر في جماعة أو إن أكمل صلوات يومه كلها دون أن تفوته صلاة، إذن الصلاة مصدر سعادة و بهجة وسكينة، فلنجعل عقلنا يتصورها هكذا، فقط تصورها هكذا حتي وإن لم تصلي بعد، ستجد نفسك تبحث عن وسائل تعينك عليها بدلاً من أن تبحث عن وسائل تعينك أن تتركها.

قرر اليوم أن تخرج من عالم "يومًا ما"

هذا اليوم الذي تظن أن حالك سيتغير فيه بين ليلة وضحاها
وتصبح فجأة من المصلين!!
هذا اليوم لن يأتي .. لا تنتظره .. بل عليك أن تصنعه أنت
بداية الطريق أن تخرج من هذا العالم المليء بالأعداء
تعلم كيف تحافظ على الصلاة .. بدلاً من أن تتعلم كيف تتركها

قبل أن تصلي

تعرف على الله عز وجل أولاً .. لو عرفته ستحبه ..
وإذا أحببته أطعته ..
علاقتك مع الله تعالى ليست علاقة أمر ونهي فقط
الله رحيم - ودود - غفور - شكور
واسع - كريم - تواب.
غذي روحك كل يوم بأن تسمع أحداً يذكرك
بالله سبحانه وتعالى
"وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

أَيَّا كَانَ إِعْتِقَادُكَ

بأنك سوف تنجح في أمرًا ما .. أولن تنجح فيه
فأنت علي صواب في الحالتين ..

ما تُحدث به نفسك عن الصلاة يساهم في حفاظك
عليها أو تركها

تغيير أفكارك وإعتقادك عن الصلاة سيعينك أن تصلي

إغتمم أيًّا من ذكرياتك الجميلة مع الصلاة
واجعلها تعكس صورة الصلاة في ذهنك ..

إبحث عن وسائل تعينك عليها
بدلاً من أن تبحث عن وسائل تعينك علي تركها

(٥)

الصفة المعجزة

هكذا يطلق عليها علماء النفس، الصفة المعجزة، ففي دراسة أجريت علي أكثر الأشخاص نجاحاً في معظم جوانب حياتهم ممن تركوا بصمتهم في هذا العالم، وجدوا أن هناك صفة أساسية مشتركة بينهم، هذه الصفة ليست الذكاء ولا العبقرية ولا التعليم المتميز، وهي ليست النفوذ أو السلطة أو ثروة وجدوها بإنتظارهم ساعدتهم علي النجاح، علي العكس تماماً، فعظمتهم لم يكن يملك أياً من هذه الصفات، فمنهم من كان مستوي ذكائه أقل من المتوسط، ومنهم من لم يكمل تعليمه الأساسي، ومنهم من بدأ حياته مشرداً ومنهم من لم يجد قوت يومه ..

ولكن هذه الصفة فتحت الأبواب أمامهم وجعلتهم يحققون نجاحات عظيمة في حياتهم ويساهموا في إعمار هذه الأرض.

وبالطبع هؤلاء الذين يحافظون علي الصلاة لسنوات وسنوات يتميزون بهذه الصفة، فهي صفة أساسية مشتركة بينهم جميعاً، فهم ليس لديهم قدرات خاصة ولا ظروف إستثنائية، ولكنهم فقط طوروا هذه الصفة المعجزة حتي أصبحت عادة، فظننا نحن أنهم لديهم قدرات خاصة أو دعم سماوي يعينهم علي الصلاة، هذه الصفة هي أساس كل نجاح، وكل ما ستعرفه في هذا الكتاب يصبح عديم الفائدة بدون هذه الصفة.

◀ ضبط النفس Self Discipline

ضبط النفس هو الصفة المعجزة، ضبط النفس هو الصفة الأساسية للحفاظ علي الصلاة ..

ربما ظننت أنني سأُملي عليك حل سحري أو طريق مختصر سلكه هؤلاء الناجحون أو أولئك المصلون .. لا .. لا يوجد نجاح بدون ضبط النفس، ضبط النفس ساعد هؤلاء الناجحين أن يحققوا معظم أهدافهم وساعد المصلين ألا تفوتهم صلاة أيًا كانت الظروف، ضبط النفس سيجعل منك شخص مختلف، سيرتب لك حياتك، سيجلب لك السعادة لأنه يتوافق مع الفطرة.

ضبط النفس هو أن تقوم بما عليك فعله في الوقت المحدد له سواء أحببت هذا العمل أم لم تحبه .. ضبط النفس هو ألا تختار أن تقوم بما هو ممتع وسهل علي حساب ما هو ضروري ومهم حتي وإن كان صعباً أو ثقیلاً ..

قيامك بما هو ممتع وسهل سيجلب لك اللذة والراحة في وقته لكن في نهاية يومك ستشعر بالفراغ والإحباط لأنك فوتت الأعمال المهمة، بينما قيامك بما هو ضروري ومهم ربما يجلب لك شيء من الملل في وقته لكن في نهاية يومك ستشعر بالرضا والسكينة لأن يومك كان مفيداً نافعاً ذو قيمة ..

ذلك لأن ثمن الانضباط والالتزام أقل بكثير من ثمن الندم، إذا أردت أن تعي ما أقول فلتقف أمام باب مسجد بعد صلاة العشاء وإسأل أحد المصلين عن شعوره بعد أن أتم صلوات يومه، أو إسأل أحد الذين وضعوا لأنفسهم هدفاً شاقاً عن شعوره بعد ما أنجز ذلك الهدف !!

في كل يوم، أنت بين مئات الاختيارات في أن تقوم بما عليك فعله من أمور مهمة أو تختار الأمور السهلة الغير مهمة، وما تختاره كل يوم يحدد شخصيتك، لا يوجد يوم واحد في حياتك غير مهم، كلما اخترت أن تقوم بالأمور بالمهمة أياً كانت الظروف كلما قويت شخصيتك وتحكمت بهوي نفسك حتي يصبح ضبط النفس والالتزام عادة وجزء منك، وكلما تجاهلت الأمور المهمة والضرورية في حياتك وأخترت الأمور السهلة الممتعة كلما ضعفت شخصيتك وأصبح إتباع هوي نفسك جزء منك.

أُبشرك إنك تستطيع أن تنمي ضبط النفس عندك حتي يصبح عادة تفعلها دون مجهود .. ربما رأيت أحدهم وهو يقود دراجة هوائية حيث يبدو وكأنه يقودها دون مجهود وبمهارة عالية، وربما يظن البعض ممن لم يجرب قيادة الدراجات أنها أمر سهل وبسيط، ولكن ما لم يعلمه هؤلاء أن هذا الشخص قد أخفق عشرات المرات في البداية ولكنه حاول كثيراً وكثيراً وثابر حتي إستطاع أن يقود الدراجة دون مجهود وبشكل تلقائي.

هكذا هو حال هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة، فهم يبدون وكأنهم لا يجاهدون أنفسهم للصلاة، ولكن ما خُفي أنهم واجهوا أعذارهم يوماً بعد يوم وجاهدوا أنفسهم حتي إستقامت لهم وأصبح ضبط النفس عادة وجزء من شخصيتهم، وهكذا تستطيع أن تنمي ضبط النفس عندك مع كل يوم تعيشه بأن ترفض الأعذار أياً كانت وأن تلتزم أن تقوم بما عليك فعله أياً كانت حالتك المزاجية تجاه هذا الأمر، لا تقلق فلن تشعر بالسّامة أو الملل بل ستحيا كل يوم سعادة ورضا، سيصبح الإلتزام شيمة لك، ستشعر بالرضا والسعادة في نهاية كل يوم تعيشه.

« لا تشاور عقلك Non-Negotiable Mind »

لا تشاور عقلك .. إن الناجحين يقومون بتنفيذ الأعمال المهمة والضرورية دون أن تستهلك منهم مجهود في المشاورة العقلية وكذلك المصلين لا يشاورون عقلمهم في أمر الصلاة، فلا تقول:
أصلي الآن أم بعد أن أنتي من هذا العمل ..
أنتظر الطعام أم أذهب لأصلي ..
سيرهقني خلع حذائي لأتوضأ ..
سأنام خمس دقائق إضافية حتي أكون نشيطاً في صلاة الفجر ..

لا تشاور عقلك، فالمشاورة العقلية تستهلك طاقة كبيرة وهي سبب رئيسي من أسباب التكاثل، يقول علماء النفس أن أفضل وسيلة للقضاء علي التكاثل وتأجيل المهام هي أن تأمر عقلك أن يصمت وتبدأ في الأمر الذي تريد إنجازة وتستغرق فيه.

عندما تسمع الآذان أأمر عقلك أن يصمت وتوجه إلى الوضوء ثم الصلاة مباشرة، والأفضل ألا تفتح أي حديث مع أي شخص إلا بعد أن تنتهي من الصلاة، حتي لا يتفرع هذا الحديث فيتدخل الشيطان ليقنعك أن تؤخر الصلاة ..

أياً كان ما تفعله أو أينما كنت، لا تشاور عقلك في أن تصلي أم لا، لا تستهلك طاقتك في التفكير، كلما جاهدت نفسك أن تقوم مباشرة إلى الصلاة، ستقوي نفسك وستصبح هذه عادة مع مرور الوقت، وهي من أهم عادات المصلين والناجحين.

كان أحد الصالحين يعمل مزارعاً، فكان إذا رفع يده بالفأس وسمع الآذان لا ينزلها بل يلقي بالفأس خلفه خشية أن يوسوس له الشيطان بتأخير الصلاة، عمل بسيط لكنه بمثابة تدريب علي إلزام العقل بعدم المشاورة في أمر الصلاة ..

وأخبرني أحد أبناء الشيوخ الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد، أنه كانت هناك عاصفة شديدة وأمطار غزيرة، فسأل والده أن يصلي في البيت حتي لا يتأذي، فقال الشيخ "والله لو كانت تُطر حجراً، ماترت صلاة المسجد"، قوة شخصية لا تقبل المشاورة في أمر الصلاة.

◀ النقطة المرجعية Reference Point

عندما سألت هذا الشيخ عن سر قوته في ضبط النفس، أطلعني علي سر عجيب من أسرار النفس وجدته مدوناً في كتب العلماء، هذا السري سمي النقطة المرجعية Reference Point .

والنقطة المرجعية هو حدث أو فعل نجحت أنت في القيام به سلفاً تحت ظروف إستثنائية صعبة، فعندما تمر أنت بنفس الحدث أو الفعل في الوقت الحاضر، يمكنك أن ترجع لهذا الحدث القديم (كنقطة مرجعية) ليكون دافع ومُحفز لك ..

بمعني .. في ليلة باردة قارصة، عاد هذا الشيخ من عمله متأخراً مُتعباً ولم يحظي بساعات نوم كافية حتي أذن لصلاة الفجر، فجاهد الشيخ نفسه حتي قام فتوضأ وتعطر ثم ذهب إلي المسجد !

برودة الجو وقلة النوم والتعب كانت ظروف صعبة كفيلة أن تُضيع الصلاة علي الشيخ لكنه تغلب عليها، فعندما يمر بنفس الظروف لاحقاً يرجع لهذه الليلة ويذكر نفسه أنه إستطاع أن يقوم ويتوضأ ويصلي في ظروف صعبة جداً، فلا تجد نفسه حيلة للتغلب عليه فيهمزها.

وهكذا عندما تنجح أنت أن تُكون لنفسك نقاط مرجعية ترجع إليها في الظروف الصعبة، سيعينك هذا علي ضبط النفس والمحافظة علي الصلاة، فبادر أن تتخطي كل ظرفٍ صعب حتي يصبح نقطة مرجعية لك ..

لذلك أمرنا سيدنا - صلي الله عليه وسلم - أن نحافظ علي صلاة السنن والنوافل قدر المستطاع، فكيف لإنسان يُصلي أضعاف ما فرضه الله تعالى عليه في صورة سنن ونوافل أن يضع صلاة الفريضة، وكأنه سيدي - عليه السلام - يريد لنا أن نتخذ أفقاً أوسع لضبط النفس.

◀ هذا الوقت سيمضي

طلب ملك من وزيره أن ينقش جملة علي خاتمه، إذا قرأها وهو حزين فرح، وإذا قرأها وهو سعيد إعتدل، فكتب "هذا الوقت سيمضي" ... عبارة جميلة تذكرها دائماً عندما تستيقظ لصلاة الفجر وتشعر بالإرهاق والنعاس، هذا الشعور سيمضي، فقط أعط نفسك فرصة بضع دقائق حتي تنهض وتوضأ، لن يلازمك هذا الشعور طوال اليوم ولن يلازمك كل يوم، أنت فقط في مرحلة بناء عادات جديدة وأي شعور بالتعب والملل سيمضي.

الوقت الذي تشعر فيه بأنك تجاهد نفسك حتي تقوم إلي الصلاة
هذا الوقت سيمضي!

الوقت الذي تشعر فيه بأنك لا تستطيع أن تخشع في الصلاة ..
هذا الوقت سيمضي!

الوقت الذي ذهبت فيه لصلاة الجمعة ولم تجد مكاناً داخل
المسجد فصليت خارجه تحت لهيب الشمس أو مطر السماء ..
هذا الوقت سيمضي!

الوقت الذي كان فيه عملك شاقاً، وطاقت نفسك للراحة، حتي
وصلت بيتك لترتاح سمعت الآذان، إذهب وصلي ..
فإن هذا الوقت سيمضي!

فقط إصبر .. لن يطول هذا الوقت .. سيمضي .. ولكن قبل أن يمضي سيجعل منك شخصاً آخر .. لا تظن أن مجاهدة النفس للصلاة هو عمل سيلازمك ما حييت .. هو فقط ثمن لحالة من السكينة الداخلية تأتي بعدها ستجعلك تشعر وكأنك تملك الدنيا بحذاقها .. ستفتح عينك على ثراء داخلي لا حد له .. ستشعر بأنك تمتلك ضمان غامض وكأنك مؤمن عليك ضد المرض، والشيخوخة، والفقر.. تلك الحالة التي يزول فيها الخوف تماماً .. لأنك متصل مع الله .. وإن كان الله معك فمن عليك !!!

(٦)

لا طاقة لك

أياً كانت حالتك المزاجية أو الذهنية أو الجسدية، أياً كان ما تشعر به .. تعب .. كسل .. نعاس .. جوع .. أو حتي الرغبة في فعل لا شيء .. الحركة قادرة علي أن تغير هذه الحالة تماماً، هكذا يقول علماء النفس "الحركة تولد الطاقة".

أن تقوم من مجلسك وتذهب للوضوء حيث يصاحف وجهك وأطرافك الماء ثم تخطوا إلي المسجد ذهاباً وأياباً، هذا العمل سوف يمدك بقدر من الطاقة قادراً أن يبدد أي شعور سلبي ذهني أو جسدي تشعر به ..

لكن للأسف يظن الكثير ممن لا يصلون أن بقائهم في حالة الراحة والإسترخاء سيغير من تلك المشاعر السلبية التي تمتلكهم، فيبقون في مجالسهم تحت حالة اللاشيء ويتأسفون أن مزاجهم سيء أو إنهم يشعرون بالتعب.

◀ الوضوء

عند الوضوء تحدث تغيرات كبيرة في أجسادنا، فعندما يمس الماء البارد أطراف الجسد كاليدين والقدمين والوجه يضيق شريان الدم فيها نتيجة لانخفاض درجة حرارتهما وبالتالي يزيد سريان الدم الى هذه المناطق من الجسد لموازنة درجة الحرارة العامة، سريان الدم هذا يزيد من حيوية الأعصاب الموجودة في هذه المناطق، وبارتباط هذه الأعصاب بالعصب الرئيسي في المخ، يحدد الإنسان نشاطه بعد الوضوء نتيجة لنشاط المخ ..

لذلك جرت العادة بصب الماء البارد علي رأس ووجه المغمي عليه حتي يستعيد وعيه، فصب الماء البارد ينبه المخ إلي ضرورة سريان الدم الي هذه المناطق مما يساعد علي سرعة إفاقة من فقد وعيه.

أيضاً أثبتت الدراسات أن الذين يتوضؤون ويستنشقون ويستنثرون عدة مرات يومياً، قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفاً خالياً من الميكروبات في حين أعطت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة فالوضوء يقي الأنف من الأمراض ويمنع الجراثيم من الانتقال إلى الجهاز التنفسي.

وهناك حقيقة وهي أن نسبة الإصابة بسرطان الجلد قليلة في البلاد الإسلامية رغم إرتفاع درجة الحرارة في معظم هذه البلاد لأن الوضوء يزيل المواد الكيميائية الضارة الناتجة عن العرق قبل أن تتراكم وتتجمع على سطح الجلد.

كما إنه عندما تسقط أشعة الشمس علي الغلاف الجوي، تبدأ طبقة في الغلاف الجوي بالتكهرب نتيجة لإمتصاص الأشعة السينية والفوق بنفسجية من الشمس، هذه الطبقة تسمى الأينوسفير التي تقوم بإسقاط شحنات كهربائية علي الأرض وتؤثر جميع الموجودات بهذه الشحنات الكهربائية حتي البشر.

وفي تجربة ممتعة ومثيرة قام مقدم البرامج العلمية البريطاني ريتشارد هاموند Richard Hammond بوضع دلو من البنزين داخل بيت خشبي صغير مغلق، ووضع داخل هذا البيت أحد أطراف سلك موصل للكهرباء ..

وعلي بعد مسافة كافية إرتدي أحد الأشخاص بدلة من الصوف ووقف داخل وعاء بلاستيكي (سأذكر لكم لاحقاً الحكمة من الوعاء البلاستيكي) ثم قام بحك أطراف جسده ببعض لعدة دقائق ثم لمس بإصبعه الطرف الآخر من السلك .. فانفجر البيت الخشبي!!

مما يعني أن جسده قام بتوليد شرارة كهربائية والتي انتقلت عبر السلك الى البيت الخشبي المعبأ برائحة البنزين فانفجر البيت، فاثبتت التجربة أن جسم الإنسان يحتوي علي شحنات كهربائية.

لذلك كانت الحكمة أن يأمرنا الله تعالى بأن نغسل أطراف الجسد (نهايات الجسد) عند الوضوء حتي نزيل هذه الشحنات الكهربائية الضارة بالرغم من أن هناك مناطق أخرى يزيد فيها التعرق أو الغبار ولكن جاء الأمر بغسل نهايات الجسد فقط فالغرض الأساسي هو تجديد الطاقة بإزالة الشحنات الكهربائية الضارة.

وعلي الجانب الآخر يأمرنا الله تعالى بالتييمم في حالة عدم وجود ماء، والتييمم هو الإتصال بالتراب أو أي شيء من جنس الأرض كالخجر لأن الإتصال بالأرض أيضاً يبدد الشحنات الكهربائية الضارة، وهذا كان الغرض أن يقف الشخص داخل وعاء بلاستيكي أثناء التجربة حتي يكون معزولاً عن

الأرض، فإتصاله بالإرض سوف يبدد الشحنات التي نشأت نتيجة لحك أطراف جسده ببعضها.

آمل أن تكون نظرتك تجاه الوضوء قد تغيرت، فالوضوء مصدر مهم وأساسي للطاقة، فعندما تشعر بالكسل أو التعب أو الرغبة في فعل لا شيء، عليك بالوضوء .. قبل أن تقوم بأي عمل مهم يحتاج التركيز، عليك بالوضوء حتي في غير وقت الصلاة ..

يقول سيدنا - صلي الله عليه وسلم - "ما منكم من أحد يتوضأ .. فيسبغ الوضوء .. ثم يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية .. يدخل من أيها شاء".

◀ المشي إلى المسجد

دعنا نفترض أن المسجد يبعد عن بيتك ثلاث دقائق مشياً وإنك تستغرق ستة دقائق ذهاباً وأياباً للصلاة .. أن تصلي الخمس صلوات في المسجد هذا يعني إنك تستغرق كل يوم ثلاثين دقيقة مشياً إلى ومن المسجد، دعنا نكتشف أثر الثلاثون دقيقة من المشي اليومي علي حياتك:

- انخمول وفقدان الحس والتوتر شعور جسدي، عندما يتغير وضع جسدك بالحركة أو المشي نغير الكيمياء الحيوية للجسد، فقد أشارت الأبحاث العلمية أن عملية الإستنشاق والزفير التي يمارسها الشخص خلال المشي تساهم إلى حد كبير في الإسترخاء وتهذئة الأعصاب والتخفيف من الضغط النفسي.

- يمكن للمشي الإعتيادي أن يُساعد في التخلص من الكولسترول الغير صحي في الجسم، ويزيد من نسبة الكولسترول الصحي الذي يحتاجه الجسم، وهذا بدوره يساعد في الحفاظ على الوزن الصحي ويدعم الجسم باللياقة اللازمة، ويمكن أن يساعد في تحسين المزاج أيضاً.
- المشي يساهم في تعزيز فيتامين د في الدم مما يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.
- المشي يعمل على تحريك العضلات الكبرى في الجسم، كعضلات الفخذين وأوتار الركبة فضلاً عن عضلات الساق والقدمين، وإن تحريك هذه العضلات يساعد في توزيع الدم في الجسم بشكل أفضل، ويحسن من نظام تزويد الأكسجين، ويزيد من قدرة القلب والشرابين على التحمل، ويحافظ على صحّة العظام، ويحد من السمنة ويقلل فرص الإصابة بمرض السكري.

حفاظك علي المشي ثلاثون دقيقة يومياً موزعة علي الصلوات الخمس له أثر بالغ في الحفاظ علي صحتك علي المدى البعيد، كما إنه مصدر متجدد للطاقة علي مدار اليوم فالمشي يبذل الجهد والتوتر والكسل، فعندما تشعر بالكسل لأداء الصلاة فلا تظن أن بقائك في حالة اللامبالاة سوف يبذل هذا الشعور ولكن قيامك وذهابك إلي المسجد مشياً هو الحل.

◀ الركوع والسجود

عندما تصلي فأنت تقوم بعملية الركوع (ميل الجذع إلي الأمام) ١٧ مرة علي الأقل وعملية السجود (ضغط الدم إلي الرأس) ٣٤ مرة علي الأقل، ولا يوجد أي شخص علي هذا الكوكب من غير المسلمين يقوم بمثل هذه الحركات المنتظمة كل يوم.

أثبتت دراسة تخصصية لحركات صلاة المسلمين (القيام - الركوع - السجود) علي ١٨٨ شخص أن الحفاظ على أداء الصلاة يقلل من الإصابة بآلام أسفل الظهر والانزلاقات الغضروفية ..

كما أثبتت أن الكثير من المراكز الطبية والرياضية المتخصصة في العلاج الطبيعي في الدول الغربية اتخذت من حركات الصلاة كالوقوف والركوع والسجود حركات أساسية للعلاج والرياضة، وأضافت الدراسة أن تكرار هذه الحركات لعدة مرات يوميا يصل بالأصحاء إلى ما يسمى طبيا "اللياقة العالية"، ويساعد مرضي السمنة والسكر والضغط علي الشفاء وتنظيم العمليات البيولوجية للجسم، ويفيد الكثير من عضلات الجسد كعضلات الوجه والعين والرقم واللسان والعضلات الداخلية للمعدة والأمعاء والرئتان، حيث تزداد حركتهما.

أفادت الدراسة أن أن آلام أسفل الظهر من المشاكل الشائعة في البالغين، وغالبا ما تظهر بسبب فقدان الليونة من الرباط الطولي الخلفي في الظهر، وأن عملية ثني الظهر إلى الأمام مع بقاء الركب مستقيمة (وضع الركوع) يساعد علي زيادة ليونة الرباط الطولي الخلفي في الظهر والتقليل من إحتمالية الإصابة بآلام أسفل الظهر.

كما أن الصلاة تؤمّن لمفاصل الجسم كافة صغيرها وكبيرها حركة انسيابية سهلة دون إجهاد، وتؤمّن معها إدامة أدائها السليم مع بناء قدرتها على تحمل الضغط العضلي اليومي.

وفي السجود إدامة للأوعية الدموية المغذية لنسيج الدماغ مما يمكنه من إنجاز وظائفه بشكل متكامل عندما يبلغ الإنسان سن الشيخوخة، أيضا يزيد السجود نشاط الجهاز الهضمي نتيجة لملامسة وضغط الفخذ لعضلات البطن فتكون بذلك بمثابة تدليك ذاتي لتنشيط وتقوية جدار البطن والكبد والبنكرياس ما يساعد على زيادة حركة المعدة الامعاء وافراز عصارات المرارة،

وبذلك تتحسن حالة الهضم والقولون وتمنع الاصابة بالامساك وتقلل من تراكم الدهون حول البطن والارداف وبذلك يعتبر السجود من أروع وأعظم تدريبات اليوجا التي استحدث من السجود أحد أوضاع تدريباتها.

يتخذ الجسم في وضع الجلوس للتشهد وضع جلوس الجثو الذي يتكرر في الصلوات الخمس واثناء اتخاذ هذا الوضع نلاحظ الانثناء الكامل للركبتين مع ضغط ثقل الجسم كله فوق المقعدة التي تضغط بدورها على جميع عضلات الساقين التي نجد فيها الكعبين ملاصقين للمقعدة حيث يتم تفريغ الدم الزائد والراكد من أوردة وشرابين الساقين ما يؤدي الى التخلص من حالات الاحتقان الدموي وبذلك يصبح وضع الجلوس للتشهد من أفضل التمرينات الوقائية لحالات جلطة أوردة وشرابين الساقين.

بعد الانتهاء من التشهد ينهي المسلم صلاته بلف الرقبة يمينا ويسارا لإلقاء السلام اعلانا بانتهاء الصلاة، هذه الحركة البسيطة نادراً ما يفعلها غير المصلين لأيام كثيرة، وهذا التمرين بتكراره

خمس مرات يومياً علي الأقل يعتبر مناسباً تماماً لعضلات الرقبة وتحريكاً لل فقرات والاربطة العنقية التي تستفيد من زيادة مرونتها وقوتها فتمنع الاصابة بخشونة فقرات العنق التي تسبب الإنزلاق الغضروفي في فقرات العنق.

وتساعد الصلاة الإنسان علي التأقلم مع الحركات الفجائية التي قد يتعرض لها، كما يحدث عندما يقف فجأة بعد جلوس طويل مما يؤدي في بعض الأحيان إلى انخفاض الضغط، وأحياناً إلى الإغماء، فالمدامون علي الصلاة قلماً يشكون من هذه الحالة، وكذلك قلماً يشكي المصلون من نوبات الغثيان أو الدوار.

تفرض الصلاة علي المصلي اتباع نمط فريد أثناء عملية التنفس مما يساعد علي إدامة زخم الأوكسجين ووفرته في الرئتين، وبهذا تتم إدامة الرئتين بشكل يومي وبذلك تتحقق للإنسان مناعة وصحة أفضل.

◀ أوقات الصلاة

كم مرة فاتك وقت الصلاة وحاولت أن تصلي بعده فشعرت أن الصلاة ثقيلة جداً عليك ؟؟ .. ولماذا أمرنا الله تعالى بالصلاة علي وقتها وتوعد لمن يؤخر الصلاة فقال سبحانه:

" فويل للمصلين .. الذين هم عن صلاتهم ساهون "

لم يقل الله عز وجل الذين هم في صلاتهم ساهون، بل قال سبحانه "عن صلاتهم ساهون" أي أن السهو المقصود هنا هو سهو عن الصلاة بتأخير وقتها حتي يأتي وقت الصلاة التي بعدها، فما السر في أوقات الصلاة الثابتة وضرورة الإلتزام بها.

توصل البروفيسور الألماني كنوت فايفر Knut Pfeiffer إلي تقنيات يمكنها رؤية الطاقة المنبعثة من الموجودات وخاصة جسم الإنسان، وفي دراسة خاصة علي صلاة المسلمين إكتشف أن المُصلي بخشوع يحصل علي قدر كبير من الطاقة الروحية بعد كل صلاة وذلك بتصوير إنبعاث الطاقة منه قبل وبعد الصلاة.

ونجد الحكمة في أن صلاة المسلمين تُصلي خمس مرات في اليوم واليلة فهي بمثابة إعادة شحن للطاقة الروحية للإنسان علي مدار اليوم وإمداد مستمر للسلام الداخلي وشفاء النفس لمواجهة أتعاب وأعمال الحياة اليومية، كما قال أحد الصالحين "تكبر الدنيا وتكبر ثم تكبر حتي تأتي الصلاة فتعيدها إلي قدرها".

والعجيب أن أوقات الصلاة تزداد فيها معدلات الطاقة حتي تبلغ قمتها في وقت الصلاة (مع الآذان) وتبدأ بالهبوط التدريجي حتي يأتي وقت الصلاة التالية فيبلغ معدل الطاقة قته مرة أخرى ويوجد ترابط كبير بين أوقات الصلاة والهرمونات الطبيعية التي يفرزها الجسم في أوقات الصلاة المختلفة.

لذلك نحن نشعر بثقل الصلاة إذا فات وقتها والحل هو أن نستغل مقدار الطاقة العالي المنبعث خلال أوقات الصلاة ونصلي الصلاة علي وقتها، وهذا واحد من أهم أسرار هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة، فهم حريصون علي أداء الصلاة في أول وقتها بمجرد سماع الآذان ..

فوقت الصلاة المحدد بما يحمله من طاقة عالية بمثابة الدافع القوي الذي ييسر الحفاظ علي الصلاة، لا تقبل اي أعذار تخدعك بأنك ستصلي بعد فوات أول وقت للصلاة، هذه الأعذار بمثابة قبلة الموت من إبليس قبل أن يفر هارباً!!

قال سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع النداء، فإذا قضي النداء أقبل" .. لذلك يحاول إبليس بكل ما أوتي أن يجعلك فقط تؤخر الصلاة حتي ينتهي الآذان لأنه يُدبر وقته .. عرفت فالزم.

◀ صفائر العادات

حياتنا ما هي إلا مجموعة من العادات اليومية وصغائر العادات التي نفعلها كل يوم يمكن أن تقودنا إلي إنجاز عظيم أو كارثة لا نستطيع تحملها ..

فلا أحد مثلاً يشتكي من زيادة الوزن والأمراض المترتبة عليه بين ليلة وضحاها، وإنما هو تراكم لصغائر العادات الضارة وإهمال لصغائر العادات المفيدة حتي يأتي يوم تضطر فيه إلي بذل جهد كبير حتي نصلح ما أتلّفناه.

كذلك مرض الإكتئاب لا يأتي بين ليلة وضحاها، وإنما هو تراكم لعادات يومية سيئة لكنها بسيطة ظنّها المريض تافهه، حتي يأتي اليوم الذي يشعر فيه المريض بعدم القدرة علي مواجهة هذا التراكم وبالتالي عدم الرغبة في الحياة فيدفعه هذا التراكم إلي الإنتحار.

أيضاً صغائر العادات الصحية والمفيدة يمكن أن تقودنا إلي إنجاز عظيم، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن فرض علينا الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، فصغائر الأفعال المتعلقة بالصلاة كالوضوء والمشي إلي المسجد وحركات الصلاة لها أثر عظيم علي الصحة الجسدية والنفسية علي المدى البعيد ..

وكم جالست من شيوخ جاوز عمرهم الثمانين والتسعين وقد حُفِظت عقولهم وصحتهم لأنهم حافظوا علي الصلاة في شبابهم وقوتهم فحفظتهم الصلاة في كبرهم وضعفهم.

والعجيب أن الصلاة أصبحت لهم رفيقاً في هذا العمر الذي تزوج فيه الأبناء والبنات ورحل فيه الأصدقاء، فأولئك الذين أعطوا الصلاة أوقاتهم في قمة إنشغالهم وأنسهم بمن حولهم، كافئتهم الصلاة في كبرهم وكأنها دواء للوحدة والملل الذي يعانيه معظم من بلغ هذا العمر، فكيف لشيخ ينزل من بيته خمس مرات يمشي إلى المسجد ذهاباً وإياباً أن يشعر بالوحدة أو الملل في يومه أو لعجوز تنتقل بين أوقات الصلاة كل يوم تملأ ما بينهن بأعمال بيت أو رعاية حفيد أن تشعر بالضجر ..

ولا تظن أن بمقدور كل من فوت الصلاة في قمة إنشغاله وأنسه بمن حوله أن يحافظ علي الصلاة في كبره ليداوي وحدته، فهو لن يحصد ما لم يزرع.

الصلاة طاقة .. لا تظن أن قيامك للصلاة سوف يرهقك ويأخذ من طاقتك بل الصلاة هي مصدر للطاقة، قيامك للصلاة سوف يجدد طاقتك ونشاطك ..

أيضاً لا تظن أن بقائك في حالة اللاشيء سيغير من شعور الكسل الذي يسيطر عليك بعض الأوقات، قيامك للصلاة يبدد شعور الكسل .. حتي وإن كنت منشغلاً ببعض الأعمال، قيامك للصلاة سوف يعينك علي إتمامها بتركيز أعلي .. أياً كان ما تفعله أو تشعر به، قيامك للصلاة سيمدك بطاقة إيجابية تعينك علي ما تفعله وتحسن ما تشعر به.

(٧)

ألك حاجة ؟!

لحظات كالعمر تلك التي بين الأذان وإقامة الصلاة .. فما من شيء سأله خلال تلك اللحظات إلا وأعطيته أو أعطيت الحكمة من منعه .. أتعجب كيف يفوت الكثير هذه الدقائق التي يستجاب فيها الدعاء .. ألك حاجة!! .. ومن منا ليس له حاجة .. أياً كانت حاجتك .. قف بين يدي من له ملكوت كل شيء وأسألها .. أطلبها من الغني الذي له خزائن السموات والأرض.

أعتقد - والله أعلم - أن الحكمة من وجود عقبات وتحديات يومية هو تجديد الإيمان، لعل مصطلح تجديد الإيمان قد إعتاد الناس علي سماعه دون فهمه بعمق !!

فإذا سألت أحدهم هل هو مؤمناً بالله تعالى حقاً؟؟ سيستنكر سؤالك ويتعجب كيف تسأله هذا السؤال، فهو بالطبع مؤمن بالله تعالى ويؤدي العبادات ويحب الله عز وجل، وإذا جاءك نفس الشخص يشتكي لك سوء حاله، أو تعثر حياته، أو مشكلة تسببت في ضيق صدره، أو دين يرهقه ونصحته أنت بأن يسأل الله تعالى مسألته، أخذ بنصيحتك وكأنها أمراً ثانوي، فيقول لك نعم نعم سأسأل الله عز وجل بالطبع ولكن ما رأيك أن أفعل كذا وكذا!! فهو يريد سبب مادي يحل به مشكلته، وإن نصحته ثانية بأن يسأل الله وحده، قال لك إن هذا تواكل، ألم يأمرنا الله تعالى بالأخذ بالأسباب!!

وتحت مسمي الأخذ بالأسباب تجد هذا يسأل فلان لتوظيف ابنه، والآخر يقف عند باب مدير منتظراً أمر لتيسير طلبه، وهذه تشتكي لصاحبها سوء حالها، والعجيب أن أولئك الذين يسألون الخلق دون الخالق ويشتكون الخالق للخلق يتفنون بعرض مسألتهم أو شكواهم ويكون لسانهم أفصح ما يكون .. ولكن عندما يسجدون بين يدي من له ملكوت كل شيء، ومن هو

علي كل شيء قدير، ومن له خزائن السموات والأرض .. يتلثم لسانهم ولا يدرون ما يقولون، ذهبت الكلمات والعبارات، أتدري لماذا؟؟ لأنهم إعتادوا أن يسألوا فقراء، فقير يسأل فقير لا يملك من أمره شيئاً، حتي وإن كان من يسألوه هو ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء أو أيّاً كان فهو لا يملك من أمره شيئاً، ففي لحظات يمكن أن يكون طريق قبر ضيق، لا حول له ولا قوة، يحمله من يحمله ويضعه من يضعه.

أسأنا فهم الأحذ بالأسباب حتي نسينا رب الأسباب، أي أسباب تلك التي نجت يونس - عليه السلام - وهو في بطن حوت في أعماق بحر يغشيه ظلام الليل، فلو جئنا بأقوي ملوك الأرض وأكثرهم عدة فهو لن يستطيع أن يُخرج يونس - عليه السلام - ..

وأي أسباب تلك التي نجت إبراهيم - عليه السلام - وهو مقيد مُلقى به في النار .. وأي أسباب تلك التي نجت موسى - عليه السلام - وفرعون وجيوشه من خلفه والبحر من أمامه ..

وأي أسباب تلك التي جعلت يوسف -عليه السلام - عزيز
مصر له خزائن الأرض بعد أن كان سجين لا تري عينه
الشمس!!

ومن ذا الذي يستطيع أن يربط علي قلب أم تُلقي بياؤها في البحر
خشية أن يُقتل .. ومن ذا الذي يستطيع أن يُنحي فتية صغار
إجتمع أهل قريتهم علي قتلهم.

لعلك تقول هذه معجزات للأنبياء وكرامات للصالحين لا دخل
لنا بها فقد ذهب زمن المعجزات، فأقول لك وما لك
والمعجزات، أليس الإله الذي تعبده وتؤمن به هو من أحدث
تلك المعجزات، من نجي هؤلاء قادراً علي أن ينجيك، ومن حقق
مسألة هؤلاء قادراً علي أن يحقق مسألتك، ومن ربط علي قلب
هؤلاء قادراً علي أن يربط علي قلبك، كف عن التدبير وأنشغل
بالتدبر، فالله الصمد قادراً علي أن ينجيك ويحقق مسألتك ويربط
علي قلبك من غير معجزة.

قالها موسى - عليه السلام - " كلا إن معي ربي سيهدين " عندما رأي قومه جيش فرعون خلفهم والبحر أمامهم وقالوا له إنا لمدركون، لم يفكر موسى - عليه السلام - في الأسباب ولا الحلول المنطقية بل فكر في رب الأسباب أولاً وكله يقين، فكان رده "كلا" وهي أداة نفي تفيد الردع والزجر والاستنكار.

وبالفعل بعد هذا اليقين والإيمان المطلق الذي أبداه موسى - عليه السلام - هداه الله عز وجل لأسباب أخذ بها حتي وإن لم تغني من الأمر شيئاً، أوحى إليه الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر وهو القادر أن يفلق البحر بدون عصا، لكن اراد الله عز وجل أن يعرفنا ماهية الأسباب التي نأخذ بها، أسباب في إطار طاقتنا، أسباب في حدود أنفسنا، ولم يأمره الله العزيز أن يرجع لفرعون أو يتفاوض معه، فهذا ليس أخذ بالأسباب!! هذا هو معني الإيمان الذي أقصده، أن تأخذ بالأسباب التي في قدر طاقتك ثم تكون علي يقين بأن معك ربٌ سيهديك.

ذلك اليقين هو الذي جعل نوح - عليه السلام - يصبر علي
أذي قومه وسخريتهم، أتدري لماذا كان يسخر قومه منه؟؟

لأن أمر الله عز وجل جاء بأن تُبني السفينة في الصحراء
فأتهموه قومه بالجنون وسخروا منه، فأَي سفينة تلك التي ستُبحر
في الصحراء !! لكن لم يفكر نوح - عليه السلام - في الأسباب
التي ستجعل السفينة تُبحر، فالأسباب مستحيلة قياساً علي التفكير
المادي والمنطقي للبشر .. ولكن إتجه نوح - عليه السلام - إلي
رب الأسباب "فدعا ربه أَني مغلوب فاتتصر" لأنه يعرف قدرة
الإله الذي يعبده ..

وجاءت الإستجابة "ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر .. وفجرنا
الأرض عيوناً فالتقي الماء علي أمرٍ قد قُدر"، كان السبب الذي
جعله الله الحكيم للنجاة هنا هو السفينة التي بُنيت بمجهود نوح -
عليه السلام - والذين آمنوا معه، سبب في إطار طاقتهم وسعة
أنفسهم إجتهدوا حتي يأخذوا به ..

وفي كل جانب من جوانب حياتك هناك أسباب تأخذ بها في إطار طاقتك وسعة نفسك، لا تفكر في كيفية عمل تلك الأسباب فنوح - عليه السلام - لم يفكر في كيفية إبحار السفينة، هو فقط اجتهد فيما تطيقه نفسه، خص الله تعالى ذاته بكيفية عمل تلك الأسباب حتي يتجدد الإيمان في كل يوم تعيشه حتي لا تنسي القدير الذي يسير هذه الأسباب.

أما منك فلا !!!

قالها خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - وهو مُقيد قبل لحظات من إلقاءه في نار إستغرق قومه شهر في إعدادها، حتي كانت تلك النار تأكل الطير في السماء، قالها لجبريل - عليه السلام - الذي كان له ستمائة جناح، الجناح الواحد يسد الأفق، عندما سأله "ألك حاجة ؟؟"

فكان رد خليل الرحمن الذي لم يعتاد أن يسأل غير الله العزيز "أما منك فلا!!!" ..

هذا هو حال من كان قلبه مطمئناً بالله ذو القوة المتين، يقين تام وثقة لا حدود لها جعلته يرفض سؤال أحد غير الله العزيز وهو علي بعد لحظات من حرقه، لم ينزل المطر فيطفيء النار، ولم تهب ريح فتقتلع قومه ويوتهم، لم يحدث شيء ينبئه بالنجاة، ولكنه كان علي علم بأن الحكيم الرحيم لن يضيعه، فألقي في النار ثم خرج منها سالماً والقوم يتعجبون فقال له أبوه آزر وكان من الكافرين "نعم الرب ربك يا إبراهيم" !!

تعلم فن الإلتجاء إلي الله تعالى بيقين وثقة، ما أمرنا الله عز وجل أن نسأل غيره تحت مسمي الأخذ بالأسباب، ما أمرنا الله تعالى به هو أن ننظر في أنفسنا ونعمل قدر سعتها وطاقتها وأن نأخذ بكل الأسباب التي نستطيع أن نفعلها في حدود أنفسنا دون أن نسأل غيره سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل "وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة" هذا أمر يحتاج للعمل والكد الشخصي ولم يأمرنا الله تعالى بأن نستعين بالآخرين في إعداد القوة أو نطلب منهم المدد أو نسألهم أن

يمنعوا عنا شر عدونا فهذا ليس أخذ بالأسباب إنما هذا هو التواكل، فإن كنت تريد أمراً، أعد له ما تستطيع وتوكل على الله الوكيل وهو يكفيك.

لا تسأل أحداً مع الله تعالى ولا تستعين بأحد غير الله العزيز، أنظر في القرآن الكريم فلن تجد آية واحدة من الفاتحة إلى الناس تأمرك بأن تسأل أحداً مع الله، تعود أن تسأل الله عز وجل في كل أمور حياتك صغيرها وكبيرها، وإذا سألت الناس فليكن سؤالك عن شيء تجهله أو نصيحة تطلبها وألا يبقى في قلبك مثقال ذرة أن هذا الذي تسأله يملك من أمرك شيئاً، أيّاً كان منصبه أو قوته فأمرك كله بيد الله ذي القوة المتين.

في كل يوم، أنت بين حاجة تطلبها، أو أمراً تريد تيسيره، أو همماً ضاق به صدرك، أو هدفاً تسعى لتحقيقه، أو نعمة تشكرها، أو شيء تخاف منه أو عليه ..

إجعل صلواتك وكأنها زيارات لمن له ملك السموات والأرض،
تخيل إنك تقف بين يد من هو علي كل شيء قدير، هل تعي هذا
المعني؟؟

الله تعالي علي كل شيء قدير، كل شيء أياً كان هذا الشيء،
أطلب منه ما شئت، ألقى بهومك ومشاكلك اليومية في كل
صلاة تصلّيها، إحرص أن تكون في المسجد بين الأذان والإقامة،
صلي ركعات إسأل فيهم مسألتك، إسأل الله الواسع السعادة،
إسأله الطمأنينة، الأمر الذي تخاف منه إسأله أن يكفيك إياه،
الأمر الذي تخاف عليه إسأله أن يحفظه، الأمر الذي تخشي
نتأجه إسأله التوفيق فيه، إسأله أن يسد عنك دينك، إسأله البركة
في الرزق، إسأله زيادة النعم، إسأله حبه ليحبك.

ربُّ له مُلك السموات والأرض وخزائنه، لما يمنع عنك شيئاً
هو في مُلكه لا شيء .. لما يرهقك .. لما يضيق عليك ..

يقول الله عز وجل "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم" أنت إن فهمت الحكمة من المصائب وتحديات الحياة اليومية لإطمئن قلبك وغمرتك سكينه لا حد لها، هذه المصائب والتحديات هي من تجعلك علي صلة حقيقة بالله تعالى في كل يوم تعيشه، ستشعر بمعني العزة الحقيقي عندما تجد حاجتك تُساق إليك، ستتعرف علي معني الإيمان الحقيقي، ستتعامل مع الله تعالى بمنظور مختلف وستكون الصلاة هي وسيلتك للإتصال بالله القدير السميع البصير.

تلك الصلاة التي تبدو روتينية للبعض ليست فقط وسيلة لإصلاح أمورك وتحقيق حاجاتك وجلب الطمأنينة إلي قلبك، لا بل هناك ما هو أعظم من ذلك .. فإذا كسفت الشمس وخسف القمر وجفت الأرض وحدثت أمور لا يملك أقوي أهل الأرض حلها .. أمرنا الله تعالى أن نُصلي حتي يغير - وهو القوي الخافض الرافع - أمور كونية تفوق قدرة أهل الأرض الفقراء المساكين بكل ما يملكوه من معدات وتكنولوجيا ..

أمرنا أن نُصلي حتي نغير موازين الكون فشرع لنا صلاة
كسوف وخسوف وإستسقاء، صلاة تغير موازين الكون كيف
لها ألا تغير حالك !!

◀ هو الحكيم

الله حكيم .. ما إن دعوته فهو يختار الخير لك، فربما جب عنك
أمراً تراه أنت خير ولكن الله الحكيم الخبير يعلم إنه شر لك، فلا
يستجيب لدعوتك ويدخر أجرها لك، لذلك يدعي الكثير أن الله
تعالى لا يستجيب دعائهم، مما يقودهم للظن بأن الله عز وجل
لا يحبهم أو إنه لا يستجيب لهم بسبب ذنوبهم، فيدفعهم ذلك
إلى اليأس وسؤال غيره.

فاعلم أن سبب عدم إستجابة الدعاء هو سؤال أحد مع الله تعالى
أو عدم اليقين بقدرة الله - تعالى جده - علي تحقيق ما سألت،

لأن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي " أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه"، فأحذر أن يقع في نفسك أن الله السميع لا يسمعك أو لن يستجيب لك، أنت نتعامل مع رب قدير حكيم، أطلب ما شئت وأعلم أن الحكيم يختار لك.

ذكر النبي - صلي الله عليه وسلم - أن الله تعالى يضحك من قنوت العبد مع قرب رفع البلاء، فقال الصحابة - رضوان الله عليهم - أويضحك الله تعالى ؟ فقال سيدي -عليه الصلاة والسلام - نعم يضحك، فقالوا والله لن نعدم خيراً من رب يضحك.

ما أهمك في الليل وأطار نومك قم وإطرحه علي باب المهيمن في صلاة الفجر .. الأمر الذي ذهبت لتقضيه ولم ينقضي إرساله الي الميسر في صلاة الظهر .. وإن واجهتك مشكلة تبدو وكأنها ليس لها حل إعرضها علي العليم في صلاة العصر .. وهكذا ..

كل ما يشغلك بين الصلاة والصلاة يسأله في الصلاة، وإن وسوس لك الشيطان بأنك مُذنب أو مقصر والله لن يستجيب لك - تعالي الله عن هذا - ردد بصوت مسموع "أمن يجب المضطر إذا دعاه" ..

إذا أذنبت وتملك من القنوت، إستغفر الله الغفور وردد بصوت مسموع "إن الله يحب التوابين" .. لا تسمح للشيطان بأن يتدخل في علاقتك مع الله القريب، يقول الله عز وجل "الشيطان يعدكم الفقر"، فكهما وسوس لك بأنك سوف تفتقر أو ستفقد أبناءك أو أن الله - تعالي - لن يغفر لك، رد هذه الوسوس بعود ورسائل الله الودود لك.

من الآن لا حاجة لك بسؤال الناس .. كل يوم لك خمس زيارات أساسية مع من له ملك السموات والأرض .. ومن هو علي كل شيء - كل شيء - قدير .. ومن له خزائن السموات والأرض .. ومن هو مهيمن علي الكون .. والقاهر فوق عباده .. والذي هو علي كل شيء حفيظ ..

هذه الزيارات هو من دعاك إليها وهو الغني وأنت الفقير إليه .. في هذه الزيارات لن يقطعك إن أطلت الطلب وألححت السؤال وهو العليم وأنت الجاهل إليه .. بعد هذه الزيارات ستنال مسألتك وسيكرمك الكريم بسكينة لا مثيل لها تنسيك ما سألت لفرحتك بمعرفة من سألت.

فلو شاهدت عيناك من حسننا
الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا
خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة
عذرت الذي أضحي قتيلا بجننا

(٨)

دواء العادة

في بداية تسعينات القرن الماضي، جاء شخص إلى مدير تنفيذي لشركة أمريكية رائدة في الدعاية والإعلان يدعي "هوبكنز Hopkins" بفكرة جديدة في ذلك الحين، فقد أوضح هذا الشخص إنه إكتشف منتجاً مدهشاً وأنه مقتنع أن هذا المنتج سيحقق نجاح رائع لذلك فهو يريد مساعدة "هوبكنز" للترويج والدعاية لهذا المنتج، لقد كان هذا المنتج معجون للأسنان.

لقد كان "هوبكنز" يعتلي قمة مجال الدعاية والإعلان في ذلك الوقت، فقد استطاع أن يحول كثير من المنتجات المجهولة إلى منتجات تُباع بملايين الدولارات تشتريها كل أسرة أمريكية تقريباً، وكان سر نجاح "هوبكنز" يكمن في قدرته علي إيجاد عادات جديدة بين العملاء تجعلهم يشترون هذه المنتجات، وأصبحت قواعد "هوبكنز" للدعاية والإعلان قواعد أساسية يستخدمها المسوقين وأصحاب الشركات والمصانع، ومازالت هذه القواعد تؤثر في كيفية شرائنا للمنتجات إلى وقتنا هذا.

ومع ذلك كان يعلم "هوبكنز" أن بيع معجوناً للأسنان يعد إنتحاراً تجارياً في ذلك الوقت، فقد كان من النادر أن يشتري أي شخص مواد لتنظيف الأسنان حيث كان استخدام فرشاة الأسنان نادراً أصلاً رغم مشاكل الأسنان المتفشية وقتها، لهذا رفض "هوبكنز" إقتراح ذلك الشخص عدة مرات، لكن عندما رأي إصراره وافق للقيام بحملة ترويج لمنتجه تحت شروط ضمانية.

في خلال خمس سنوات حول "هوبكنز" هذا المنتج المجهول إلى أحد أشهر المنتجات شهرة علي وجه الكرة الأرضية، حيث إنتشر معجون الأسنان "بيسودينت Pepsodent " عبر أمريكا بسرعة مذهلة، وبحلول عام ١٩٣٠ كان يُباع في الصين وجنوب أفريقيا والبرازيل وألمانيا حتي إنتشر تقريباً في كل دول العالم، وبعد مرور عشر سنوات علي إطلاق أول حملة دعاية لـ "بيسودينت"، إكتشف خبراء إستطلاعات الرأي أن غسيل الأسنان بالفرشاه أصبح إحدي شعائر الشعب الأمريكي فقد نجح "هوبكنز" أن يجعل غسيل الأسنان بالفرشاه نشاطاً يومياً (عادة).

ويفخر "هوبكنز" فيما بعد بأن سر النجاح يرجع إلي القدرة علي جعل غسيل الأسنان عادة يومية بين المستهلكين وذلك عن طريق إكتشاف مُحفز ينمي عندهم الرغبة للقيام بنشاط غسيل الأسنان كل يوم، ليس ذلك فقط بل بضرورة وجود مكافأة فورية يحصل عليها المستهلك بعد غسيل أسنانه حتي يصبح غسيل الأسنان عادة يفعلها المستهلك تلقائياً ..

وهذا المبدأ هو الذي يستخدمه مصمموا ألعاب الفيديو جيم والشركات الغذائية ومحلات الوجبات السريعة وملايين مندوبي المبيعات حول العالم الآن.

قصة مثيرة ..

ولكن ما علاقة إكتشاف "هوبكنز" بموضوع الصلاة !!!

لكي نجيب علي هذا السؤال يجب أن نعرف ما فعله "هوبكنز" بالتفصيل، فما قام به لم يكن فقط أسلوب ذكي للدعاية والإعلان بل هو مبدأ علمي في فهم أسرار النفس البشرية وكيفية التعامل معها ..

◀ مُحفز العادة

من أجل بيع "بيسودينت" كان "هوبكنز" بحاجة إلي مُحفز يبرر استخدام معجون الأسنان يومياً ..

فجلس مع كومة من كتب طب الأسنان، وفي وسط أحد الكتب وجد معلومة تبين أن هناك غشاء مخاطي طبيعي يغطي الأسنان وأن هذا الغشاء يلتصق به بقايا الطعام فيميل لونه إلى الإصفرار ثم تتكون بأكثريا بين الأسنان التي تسبب تلفها وتسوسها مع الوقت ..

فأستخدم "هوبكنز" هذا الغشاء كمحفز أو منبه يعزز الرغبة لغسيل الأسنان، فكان أحد الإعلانات يقول "مرر لسانك علي أسنانك وسوف تشعر بوجود الغشاء الذي يجعل أسنانك تمرض ويسبب التسوس"، علمياً لم يكن هذا الغشاء نفسه هو ما يسبب التسوس ولكن بقايا الطعام الملتصقة به، ومع ذلك استخدم "هوبكنز" لفظة الغشاء لسهولة الإحساس به.

لذلك نحن تقريباً نجد المحفز أو المنبه في كل شيء نفعله في صورة عادة يومية، فمثلاً الشعور بالجوع يعتبر منبه لضرورة تناول الطعام، وبالنسبة للأشخاص ذوي الشهية تعتبر رائحة الطعام فقط أروؤيته محفز قوي يعزز الرغبة لتناول الطعام حتي وإن لم يكن

هناك شعور بالجوع، فكل عادة نفعلها إما أن يكون لها مُنبه أو مُحفز أو الأثنين معاً، حتي العادات الضارة كالتدخين مثلاً، الشعور بنقص النيكوتين داخل الجسم يعتبر مُنبه يدفع الشخص إلي تدخين السجائر، حتي وإن لم يوجد هذا الشعور فَرؤية السجائر أو الجلوس بمكان فيه مدخنين يمكن أن يكون مُحفز يعزز الرغبة للتدخين.

◀ المكافأة

كان "هوبكنز" يعلم بضرورة وجود عامل آخر بجانب المُحفز حتي تكتمل حلقة العادة ويصبح غسل الأسنان نشاط يومي، فكان لابد من وجود مكافأة يحصل عليها المستهلك بعد إستخدام معجون الأسنان تجعله يشتهي أن يستخدمه مرة أخرى ..

فعلي خلاف أنواع منتجات العناية بالأسنان الأخرى كان "بيسودينت" يحتوي علي حامض الستريك بالإضافة إلي جرعات من زيت النعناع ومواد كيميائية أخرى، ولقد أستخدمت هذه المواد لكي تجعل مذاق المعجون منعشاً وتترك إحساس بالإنعاش والوخز علي اللسان واللثة ..

وبعد سيطرة "بيسودينت" علي الأسواق، تدافع الباحثون لمعرفة سبب إنتشار المنتج بهذه السرعة واكتشفوا أن العملاء يقولون إنهم إذا نسوا إستخدام "بيسودينت" فسوف يفتقدون الإحساس المنعش واللاذع في أفواههم، وعندما لا يشعرون بهذا الإحساس يعتقدون أن أفواههم غير نظيفة، مع العلم بأن هذه المواد ليس لها أي فائدة طبية ولكنها فقط تقنع الناس بأن المعجون يقوم بعمله علي أكمل وجه.

لذلك فإن المحفز والمكافأة يعتبران عاملان أساسيان إذا أراد الإنسان أن يكون عادة جديدة، وفي دراسة قام بها الباحثون في جامعة نيو ميكسيكو علي ٢٢٦ شخص ممن تعودوا علي ممارسة

التمارين الرياضية بشكل منتظم حيث كان معظمهم يتدرب علي الأقل ثلاث مرات أسبوعياً، قال عدد كبير من المشاركين أنهم تعودوا علي ممارسة التمارين الرياضية لأنها تجعلهم يشعرون بأنهم في حالة جيدة (المكافأة) فلقد وصلوا إلي توقع وإشتهاء الإندورفينات وهي مواد كيميائية ينتجها الجسم تعمل علي تخفيف الألم وإعطاء شعور بالراحة والتحسن ..

وفي مجموعة أخرى قال المشاركون أن التمارين الرياضية تمنحهم شعور بالإنجاز (المكافأة) فهؤلاء وصلوا إلي إشتهاء الإحساس المنتظم بالإنجاز والانتصار، وفي الحالتين فإن هذه المكافآت الفورية كانت سبب لأن يصبح ممارسة التمارين الرياضية عادة لدي هؤلاء المشاركين.

◀ العادة والصلاة

الصلاة نشاط يومي نفعله عدة مرات في اليوم والليلة، نسعي جميعاً لنجعل عملية القيام إلى الصلاة عادة نفعلها بشكل تلقائي دون مجهود، هدفنا هو أن نقوم للوضوء والصلاة بمجرد سماع الأذان دون الخوض في معركة ضد عقولنا، أنا أقصد هنا عملية القيام للصلاة وليست الصلاة نفسها، لأن الصلاة ينبغي حضور الذهن والعقل فيها، ومع ذلك فإن الصلاة عادة يومية لأنها نشاط متكرر، لا أقصد هنا مفهوم العادة الشائع عن الصلاة بأن الصلاة أصبحت عادة وليست عبادة، ولكن نتحدث هنا عن العادة بالمفهوم العلمي وهي النشاط الذي يتم ممارسته باستمرار.

كما أوضحنا من خلال الدراسات التي قام بها الباحثون لفهم كيفية تكون العادات، فإذا أراد الإنسان أن يكتسب عادة مفيدة جديدة يجب أن يتوافر (المحفز) الذي يعزز الرغبة للقيام بالعادة و(المكافأة) التي تضمن استمرار هذه العادة.

ما ذكرناه في الفصول السابقة يعتبر (مُحفز) يعزز الرغبة في القيام إلى الصلاة، ولكي نضمن حفاظنا على الصلاة وإنضمامنا إلى هؤلاء الذين قلما فاتهم صلاة، جعل الله العليم لنا (مكافأة) فورية نحصل عليها بعد كل صلاة تجعلنا ننتظر الصلاة بعد الصلاة ولسان حالنا "أرحنا بها يا بلال".

تلك المكافأة هي السكينة أو بمعنى أدق الإحساس الذي يأتي بعد الصلاة بخشوع، حال النفس بعد صلاة خاشعة وإحساس السكينة والطمأنينة الذي يغمرها هو أفضل إحساس يمكنك أن تذوقه في هذه الحياة الدنيا، العبد الفقير الذي يكتب لك هذه الكلمات لا ينقل لك نظريات أكاديمية لتجريد الواقع أو إنه يعيش منزعلاً لا يدري شيئاً عن مُتع هذه الدنيا حتي يتجاهلها كلها، بل - والفضل والحمد كله لله - من الله الغني علي بكثير من حلال زينة هذه الدنيا ومع ذلك لا يماثل شعور السكينة أي شعور وكأنه دواء هذه الدنيا يزيتها، لا بهجة في زينة بدونه ولا شقاء في حزن معه.

أَيَّ الله - عز وجل - أن تكون الدنيا مصدر للسعادة لأنه عادل وعدل، فليس كل الخلق سواء في إمتلاك زينة الدنيا، ولكنه - العليم الخبير - جعل السعادة في السكينة وعرفنا سبيلها فن شاء أخذ به، يسعد بها الفقير ولو لم يملك شيء، ويشقي دونها الغني ولو إمتلك كل شيء، كل نعمة في هذه الحياة الدنيا تصبح نعمة إذا حُجبت عنها السكينة.

جالست التائبين الذين رجعوا إلي ربهم بعد أن ذاقوا الكثير من مُتَع هذه الدنيا، حلاله وحرامه، سألتهم لما رجعوا ؟ قالوا وجدنا في القرب من الله لذة لا تعادلها لذة، إحساس السكينة بقوة الله القدير يجعلك تشعر بأنك تملك الدنيا بما فيها، يقول الشيخ محمد راتب النابلسي:

ينام الإنسان على الشوك مع السكينة .. فإذا هو مهادٌ وثير .. وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة .. فإذا هو شوك القتاد .. يعالج المرء أعسر الأمور ومعه السكينة فإذا هي هواده ويسر ..

ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقة وعسر .. يخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمن وسلام .. ويعبر المناهج والسبل وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكة وبوار.

يبسط الله الرزق مع السكينة، فإذا هو متاع طيب، ورخاء وفير، وإذا هو رغد في الدنيا، وزاد إلى الآخرة، ويمسك السكينة مع الرزق، فإذا هو مثار قلق وخوف، وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان بخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار.

يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الدنيا ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء، ونكد، وعنت، وشقاء، وسهر بالليل، وتعب بالنهار.

يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة، ويمسك سكينته فإذا الصحة والعافية بلائاً يسلطه الله على الصحيح المعافى فينفق الصحة والعافية فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويزخر السوء إلى يوم الحساب.

ويعطي الله الجاه والقوة مع السكينة فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلةٌ لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، ويمسك سكينته فإذا الجاه والقوة مصدراً قلق على فوته، ومصدراً طغيان وبغي، ومصدراً حقد وكرهية، لا يقر لصاحبها قرار، ويدخر بها للآخرة رصيلاً ضخماً من النار.

لكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء، ولا العلم، ولا الصحة، ولا القوة، ولا المال والغنى، ولا الشهرة والجاه، ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية ؟

« الخشوع سبيل السكينة

الخشوع في الصلاة هو ما يولد السكينة التي تجعلك تشتاق إلى الصلاة، هو دواء تلك العادة، فمعه تصبح الصلاة عبادة متجددة وليست عادة روتينية، وكما كان يظن الكثير أن أولئك الذين يحافظون على الصلاة لهم قدرات بيولوجية خاصة أو هبات سماوية تنزل عليهم، أيضاً يظن الكثير خطأ أن الخشوع هو أمر سماوي يؤتيه الله من يشاء ولا يؤتيه من يشاء، فيسأل كثير من الناس، أين الخشوع ؟ لما لا أشعر بالخشوع وأنا أصلي ؟

لكي نعرف أين الخشوع، دعنا نصف أحوال بعض الناس، فمثلاً إذا أردنا أن نصف شخصاً سعيداً، كيف سيكون حاله؟ أقول لك أنه مبتسم، مُشرق الوجه، مُتحمس، إن تكلمت معه ستعكس نبرة صوته أنه سعيد وصفات أخرى ..

وإذا أردنا أن نصف شخصاً مُحبطاً، أقول لك حزين الوجه، يمكن أن يكون مُنكس الرأس، حتي وإن تكلمت معه ستعكس نبرة صوته أنه حزين وصفات أخرى ..

إذن إذا كنت تُشاهد مجموعة من الناس وطلبت منك أن تُخبرني من منهم سعيد ومن منهم مُحبط ومن منهم نشيط ومن ومنهم مُتعب، ستصفهم لي حتي وإن لم تتحدث معهم، هذا يعني أن حالة الجوارح الخارجية تعكس بقدر كبير الشعور الداخلي للبشر، فلو أنت كنت سعيد (شعور داخلي)، ستعكس جوارحك الظاهرية إنك سعيد ولو كنت خائف سيظهر هذا علي جوارحك الخارجية، هذا معلوم.

ما يُخبرنا به علماء النفس أن العكس صحيح .. بمعنى أنك إذا غيرت من حالة جوارحك الظاهرية، ينعكس هذا علي شعورك الداخلي، فإن كنت تشعر بالحزن (والأمر نسبي) يمكن لبعض التغيرات علي جوارحك الظاهرية أن تُبدد هذا الشعور ..

فتعديل وقفتك أو جلستك وتغيير تعابير وجهك والتحكم بنبرة الصوت له تأثير كبير على حالتك المزاجية والذهنية، لذلك يخضع كثير من رؤساء الدول وأولئك الذين يتولون مناصب مهمة تحم عليهم مخاطبة العامة لتدريبات في كيفية التحكم بلغة الجسد Body Language لأن ذلك يساعدهم على إظهار الإيجابية والثقة بالنفس وأحياناً القوة في حديثهم.

ويُحكى أن الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأى رجلاً يمشي وهو يحني ظهره كدلالة على الزهد والورع، فقال لأصحابه: ما بال هذا يمشي هكذا؟ أهكذا يكون النُسك بالتماوت في المشية والهيئة؟ ثم قال للرجل: هيه، أمت علينا ديننا أماتك الله، إعتدل في مشيتك وأظهر عزة الإسلام .. وألتفت إلي أصحابه فقال: ما بال أقوام حسبوا الزهدَ ضعفاً والنسكَ تماوتاً، فإذا تحدث أحدهم خشعَ بصوته وإذا مشى أحنى قامته ..

كان الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعلم تأثير حالة الجوارح الظاهرية علي الشعور الداخلي، لذلك قال للرجل إعتدل في مشيتك (حالة ظاهرية) وأظهر عزة الإسلام (شعور داخلي).

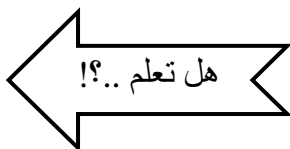
لذلك إذا أردنا أن نصف مُصلي خاشعاً في صلاته كيف سيكون حاله؟ أَلن يكسوا ذلك الرجل الهدوء، أَلن تكون حركاته بطيئة رزينة، أَلن تكون قرائته للقران قراءة مطمئنة ليست سريعة، أَلن يكون وقت ركوعه أطول ووقت قيامه أطول ووقت سجوده أطول، أَلن نلاحظ إنه يستغرق بين السجدين وقت أطول مما يستغرقه غيره ... وهكذا فاللخشوع صفات ظاهرية في متناول كُلِّ منا، إذا حققنا تلك الحالة الظاهرية إستجاب معها شعورنا الداخلي فنخرج من الصلاة وقد غمرتنا السكينة.

« مسببات الخشوع

من مسببات الخشوع، إبطاء حركة اليدين بداية من التكبير وإستشعار كلمة "الله أكبر" وأنت تقولها ثم القراءة ببطيء قدر المستطاع والتوقف لحظة أو لحظات بين كل آية وآية، فأنت لست في مسابقة تسميع لشيء تحفظه وكلما كنت أسرع كلما كنت أفضل، جرب أن تكلم الناس بنفس السرعة التي تعودت أن تقرأ بها الفاتحة ولن يفهم منك أحداً شيئاً .. أنت في حديث متبادل مع ملك الملوك ..

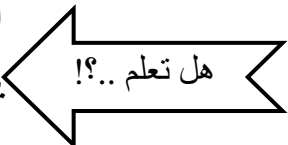
حيث ورد عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن الله عز وجل يقول "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين .. قال الله تعالى: حمدي عبدي .. وإذا قال: الرحمن الرحيم .. قال الله تعالى: أثني علي عبدي .. وإذا قال: مالك يوم الدين .. قال تعالى: مجدي عبدي .. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين .. قال تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل .. فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. قال : هذا لعبدني ولعبدني ما سأل".

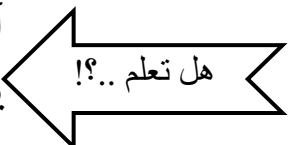
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان
يفتح صلاته بعد تكبيرة الإحرام بأن
يقول:



"اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
.. ونقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ..
اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد".

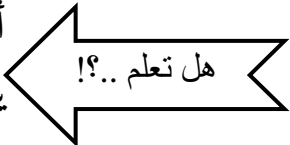
أيضاً كلما كانت حركة الجذع إلي الأمام من أجل الركوع بطيئة
وهادئة كلما ساعد ذلك علي الخشوع، تريث وأنت تُسبح في
الركوع وأظهر المد في الكلمات بأن تقول "سبحان ربي العظيم"
فأنت ستقولها ثلاث مرات فقط فلتكن هادئة واضحة ومطمئنة،
كذلك إبطء حركة الجذع للاعتدال من أجل القيام وانتظر
وأنت قائم حتي تطمئن قائماً وتقول بهدوء "ربنا ولك الحمد
والشكر".

هل تعلم..؟! 
أن النبي - صلي الله عليه وسلم - كان
يزيد علي التسبيح في الركوع ويقول:
"سبح قدوس رب الملائكة والروح .. اللهم لك ركعت، وبك
أمنت، ولك أسلمت .. اللهم خشع لك بصري وسمعي ومخي
وعظمي وعصبي".

هل تعلم..؟! 
أن النبي - صلي الله عليه وسلم - كان
يقول عند القيام من الركوع:
"ربنا ولك الحمد والشكر .. حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .. ملء
السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من
شيء بعد".

كذلك فلتكن حركتك من أجل السجود حركة هادئة مطمئنة،
تريث وأنت تسبح في السجود وأظهر المد في الكلمات بأن تقول
"سبحان ربي الأعلى" فتكون واضحة هادئة مطمئنة وتذكر أن
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فتحدث بهدوء

وأطمئنان لأنك قريب جداً ممن له مُلك السموات والأرض،
وأطلب ما شئت فهذه فرصتك، لا ترفع رأسك من السجود
وفي نفسك شيئاً لم تتطلبه من الغني الكريم.

هل تعلم!؟!  أن النبي - صلي الله عليه وسلم - كان
يزيد علي التسبيح في السجود فيقول:

"سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي .. اللهم لك سجدت،
وبك آمنت، ولك أسلمت .. سجد وجهي للذي خلقه وصوره
وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين".

كان النبي - صلي الله عليه وسلم - يستغرق بين السجدين نفس
الوقت الذي يستغرقه في السجود، لذلك ولكي تحقق الخشوع
فليكن إعتدالك من السجود هادئاً بطيئاً وأدعوا كما كان يدعوا
سيدنا - عليه الصلاة والسلام - بين السجدين بأن تقول: اللهم
إغفر لي وأعفوا عني وعافني وأرزقني وأهديني وأجبرني وأرحمني
يا أرحم الراحمين.

لذلك فإن إبطاء الحركة والقراءة ببطء وهدوء في كل ركن من أركان الصلاة يساعد بقدر كبير علي الخشوع والفوز بالسكينة التي هي دواء عادة الصلاة، ربما ستجد بعض الصعوبة في البداية لتعودك علي الحركة بسرعة والقراءة بسرعة ولكن كلما ضبطت نفسك وألزمته بالهدوء في القراءة والبطء في الحركة كلما إستجابت لك وأصبحت الصلاة الخاشعة جزء من سلوكك، بل وسينعكس هذا علي أمور حياتك اليومية فتشعر بالهدوء والسكينة في عالم اليوم الذي أصبح التسرع شيمة له.

◀ المناجاة

إذا إتصلت علي أحد أصدقائك ولم يرد عليك بل رد عليك جهاز الرد الآلي وطلب منك تسجيل رسالة صوتية، فتبدأ أنت بتسجيل رسالتك بالهاتف، فهل شعورك وأنت تُسجل هذه الرسالة الصوتية لصديقك يساوي شعورك لو أنه كلمك وتحدثت إليه مباشرةً، بالطبع لا.. !!

ولله المثل الأعلى عز وجل سبحانه، فإذا أردت أن تُغيّر شعورك وأنت تُصلي، فلا تقول أذكار الصلاة وكأنك تسجلها في رسالة صوتية، بل قلها وأستشعر أن هناك من يسمعك ويرد عليك وأنت توجه هذه العبارات إليه ليس فقط تسجلها تسجيلاً في يوم القيامة ستتمني لو أنك تُحدث الجبار ملك الملوك بكلمة واحدة، وتذكر أن ذلك اليوم قال الله تعالى فيه: "لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً" وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً"، فمن لم يُحسن الحديث مع ملك الملوك في الدنيا .. لن يُصغي إليه في الآخرة.

إستشعر المناجاة بأنك تخاطب الله الملك العزيز القدير وتقدم له التحية في آخر لقاءك معه "التحيات لله والصلوات والطيبات ..."
ثم تودعه عز وجل.

يقول ابن القيم الجوزية - رحمه الله - "أما وإنك تُصلي .. فلتصل صلاة تليق بمعبودك .. أو تُفتش لك عن معبود تليق به صلاتك".

تذكر

هناك فرق بين العبادة .. وبين التلذذ بالعبادة
بين الصلاة .. وبين الخشوع في الصلاة
بين أن تقرأ القرآن لأجل جمع الحسنات ..
وبين أن تتدبر كل كلمة وكل آية
فرق بين أن تعيش .. وبين أن تحيا ..

(٩)

كُن صباحًا

يروى "هال إيلرود" في كتابه الرائع الصباح المعجزة (The Miracle Morning / Hal Elrod) الذي غير حياة آلاف الأشخاص، كيف أن الإستيقاظ مبكراً أنقذه من حالة إكتئاب متأخرة كادت أن تصل إلى الإنتحار، فبعد أن كان يعيش حياة ناجحة إجتماعياً وعملياً وأسريراً وكان قد نُشر له كتاب حقق مبيعات رائعة تغير كل شيء فجأة بعد الأزمة الاقتصادية عام ٢٠٠٧ فوجد نفسه بلا عمل، غارقاً في الديون، لا يستطيع حتي أن يدفع فواتير بيته حتي إنتهي به الحال إلى حالة متأخرة من اليأس والإكتئاب.

كان هال "Hal" يقضي معظم وقته نائماً حيث لم تكن لديه رغبة في الإستيقاظ من نومه لمجرد يقينه بأنه سيواجه هذه الحياة التي لا معني لها وهذا حال كثير من مرضي الإكتئاب، وفي أثناء حديثه مع أحد أصدقاءه المقربين نصحه صديقه بأن يجرب ممارسة بعض التمارين الرياضية حتي يخرج من حالة الإكتئاب هذه، ونصحه بأن يمارس رياضة الجري خاصة فهي سوف تساعد علي الشعور بتحسن نوعاً ما.

أخبر "هال" صديقه إنه لم يمارس رياضة الجري قط في حياته، بل إنه لا يحب رياضة الجري أصلاً، ولكنه تذكر إنه أيضاً لا يحب الحياة التي يعيشها فما المانع إن جرب رياضة الجري هذه، ومع ظهيرة يوم العطلة الإسبوعية إرتدي "هال" ملابسه الرياضية وبدأ بالركض حول المنطقة التي يسكنها.

كانت تجربة مفيدة بالنسبة له حيث شعر أن القلق تلاشي في تلك اللحظات التي كان يجري فيها وغمره إحساس مؤقت بصفاء الذهن الذي ساعده بالبدء في التفكير الإيجابي تجاه مشكلات حياته، أحب "هال" هذه التجربة ككل وعزم علي ممارسة رياضة الجري بانتظام كما عزم علي فعل بعض الأمور التي يمكن أن تحسن من الحياة التي يعيشها، ولكنه وجد صعوبة في إيجاد الوقت لفعل هذه الأمور، حيث كان مشغول لدرجة أنه لا يجد الوقت لتحسين حياته ..

وأذكر هنا مقولة الكاتب "ماثيو كيلي Matthew Kelly":
(كلنا نريد أن نكون سعداء، وكلنا ندري ما الأشياء التي يجب أن نفعلها لنكون سعداء، ولكننا لا نفعل هذه الأشياء لأننا مشغولون، مشغولون بأن لا نكون سعداء).

لم يعتاد "هال" أن يستيقظ مبكراً - كأغلبية سكان هذا الكوكب - إلا في حالات الضرورة كالذهاب إلى العمل أو مصلحة حكومية أو من أجل اللحاق بموعد طائرة، وكان يعتبر نفسه كائن ليلى لذلك قرر أن يمارس رياضة الجري والأمور الأخرى التي من شأنها تغيير حياته ليلاً بعد الإنتهاء من العمل ولكنه إكتشف أن وقت الليل ليس الوقت المناسب حيث إنه دائماً يكون مُتعباً وليس في الحالة الذهنية والبدنية المطلوبة.

فكر في أن يستغل وقت الراحة في وسط يوم العمل ولكنه نادراً ما كان هذا الوقت أهلاً للإستخدام حيث أن التفكير في مهام العمل والتحضير لها كان ما يفعله في وقت الراحة ..

لم يجد "هال" وقت مناسب إلا الصباح الباكر قبل الذهاب إلى العمل، لكن هذه الفكرة كانت بمثابة الكابوس بالنسبة له، هو لا يتصور أن يستيقظ في الرابعة أو الخامسة صباحاً دون داعي، فقد كان يستيقظ بصعوبة بالغة في السادسة وأحياناً السابعة صباحاً من أجل الذهاب إلى العمل، وكل يوم هو يجبر نفسه جراً

حتى يغادر سريرته، لذلك قرر للحظات أن ينسي الفكرة تماماً ويعيش حياته كما هي ولكنه تذكر - حسب قوله - مقولة الكاتب "كيفن براسي Kevin Bracy": (إذا أردت أن تعيش حياة مختلفة عن تلك التي تعيشها، فعليك أن تفعل أشياء مختلفة عن تلك التي تفعلها).

وهذا قانون رباني ثابت حيث يقول الله الرفع الالافض "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" فإن كنت غير سعيد بالحياة التي تعيشها فلا بد أن تُغير من أسلوب حياتك حتى يغير الله حياتك، وإن كنت سعيد بالحياة التي تحياها فحافظ على الأمور التي تفعلها لا يبدل الله العزيز نعمه التي أنعم بها عليك، وفي هذا يقول الدكتور راتب النابلسي: (غير كي يغير، ما بتغير ما يغير).

◀ الصباح المعجزة

كتب "هال" ستة أمور من شأنها إضافة معني للحياة التي يعيشها وعزم أن يستيقظ في الخامسة صباحاً وأن يعطي كل أمر عشر دقائق فقط بعد ذلك يذهب إلى عمله، تلك الأمور كان منها الدعاء والقراءة وممارسة بعض التمارين الرياضية، العجيب أنه بعد أن كتب فقط هذه الأمور أصبح مُحفزاً جداً للإستيقاظ مبكراً في اليوم التالي بعد أن كانت الفكرة عبارة عن كابوس بالنسبه له ..

وهنا يُخبرنا علم النفس أن الإحصائيات تقول بأن أولئك الذين يكتبون أهدافهم ينجحون في تحقيقها أكثر ٨٠% من الذين لا يكتبون أهدافهم، وأيضاً الذين يكتبون مشكلاتهم ويكتبون الحلول الممكنة لها يخلصون أنفسهم من القلق الناتج عن كثرة التفكير في المشكلات.

في اليوم التالي إستيقظ "هال" في الخامسة صباحاً رغم إنه لم يحصل علي قسط كافي من النوم، وبدأ بتنفيذ الخطة التي وضعها لنفسه وبما إنه كان يستغرق فقط عشر دقائق لكل نشاط، لم يشعر بالثقل أوالمقاومة لممارسة هذا النشاط، فأنت لو عزمت علي القراءة لمدة عشر دقائق لن تقاومك نفسك كما لو عزمت علي القراءة لساعة أو ساعتين.

حافظ "هال" علي هذا الروتين الصباحي لبضع أسابيع وشعر بتغير ملحوظ في حياته حيث أن القلق بدأ يتلاشي شيئاً فشيئاً وأصبح أكثر تركيزاً علي حل مشكلاته وأكثر سعادة، وقرر أن يستيقظ في الرابعة صباحاً ليعطي كل نشاط مدة أطول وبالفعل أصبح الإستيقاظ في الرابعة عادة يفعلها دون مجهود، بعد شهرين تغيرت حياة "هال" بشكل جذري لذلك أراد أن يطلق إسم علي هذا التغير وأن يشاركه مع آلاف الناس فأطلق عليه "الصباح المعجزة".

"الصباح المعجزة The Miracle Morning" أصبح إسم للندوات التي يعقدها "هال" لمشاركة الناس قصته، وأصبح أيضاً عنوان كتابه الذي باع ملايين النسخ وترجم إلى سبعة عشر لغة، وتم تأسيس موقع رسمي يشارك فيه آلاف الأشخاص الذين تغيرت حياتهم مع الصباح المعجزة حيث يتم سرد عشرات القصص يومياً.

بشكل شخصي شاركت بقصتي التي بدأت قبل أن أقرأ كتاب "الصباح المعجزة" وكنت نفوراً جداً وأنا أخبر "هال" بأنني أستيقظ تلقائياً في الرابعة صباحاً لأن ديني يفرض عليّ ذلك، وأول شيء أفعله بعد أن أستيقظ هو الصلاة، الصلاة التي سميتها "الصلاة المعجزة".

◀ الصلاة المُعجزة

صلاة الفجر .. لعدة سنوات وأنا أُطارِد تلك الصلاة، كان يضيق صدري كلما فكرت في إنني يمكن أن أُوَافِر هذه الدنيا وفي صَحيّفتي بضع صلوات تُعد علي أصابع اليد الواحدة، دونها كنت أشعر دائماً أن هناك شيئاً ناقص، كيف هو حالي إذا وقفت بين يدي الله ملك الملوك ناظراً في كتابي حيث لا صلاة فجر فيه !!

ماذا سأقول لربِّ أعطاني كل شيء، كل أعذارِي كانت تبدو سَخِيفَةً أمام عطاء الله العظيم لي، سلكت سُبُلًا كثيرة حتي أحافظ عليها وفشلت، كثيراً ما كنت ألوم ظروف الحياة حتي إكتشفت أنني وكثير ممن يعانون مثلي - وكان منهم من يحافظ علي الأربعة صلوات الأخرى في المسجد - نريد أن نُسيّر صلاة الفجر لتتفق مع أسلوب الحياة الذي نعيشه ولا نريد أن نُغيّر أسلوب حياتنا حتي يتماشى مع صلاة الفجر !!

إكتشفت أننا نركن دائماً إلى أسباب دينية وروحانية لعدم قدرتنا علي الإستيقاظ لصلاة الفجر، وفي الحقيقة أننا نغفل أمر بسيط مادي منطقي يمكن التحكم به وهو أن ننام مبكراً أصلاً، فهذا أول خطوات الأخذ بالأسباب قبل التفتيش عن أسباب روحانية ودينية ..

عجيب أن ننام في الثانية عشر منتصف الليل أو الواحدة صباحاً ونريد من تلك النفس الضعيفة أن تستيقظ في الرابعة أو الخامسة صباحاً، نحن بذلك سهلنا علي الشيطان أن يأتي لنا بأول الأعذار بمجرد أن نستيقظ وهو "لم تحصل علي قسط نوم كافي .. نم .. نم"، تخيل إنك حصلت علي ست ساعات نوم قبل الإستيقاظ لصلاة الفجر، لن يكون هذا العذر قوياً كما لو نمت لساعتين فقط.

حكمة الله الحكيم أن تكون صلاة الفجر أسلوب حياة، مركز الطاقة الذي تبدأ به يومك، ليست فقط محطة تمر بها، إن إستيقظت من نومك مررت عليها خلال رحلة نومك وإن لم تستيقظ فقد فائتكَ، أراد الله القدير لنا أن يتماشى أسلوب حياتنا مع صلاة الفجر وليس العكس، هكذا أراد الصانع الحكيم، وكل من إتبع تعليمات الصانع - حتي من غير المسلمين - كان النجاح حليفاً لهم، لأنها سُنة الله الثابتة.

نظرت إلي حالي وقتشت في نفسي فلم أجد أمور أكثر أهمية من صلاة تشهدا الملائكة، بها أكون في ذمة الله مذ أن أبدأ يومي، ركعتا السنة فيها خير من الدنيا وما فيها، بها ومعها فرصة لتحقيق أهدافي في حياتي ولآخرتي، من خلالها أحيا الحياة التي أردت دوماً أن أحياها ..

أخبرني أنت عن تلك الأمور البالغة الأهمية التي تفعلها من بعد العاشرة مساءً، الغالبية العظمي لا تفعل أمور مهمة أو ضرورية في ذلك الوقت عدا الذين فرضت عليهم الحياة العمل ليلاً، حتي وإن كانت هناك أمور ضرورية فالغالبية العظمي يمكنهم أن يفعلوا هذه الأمور صباحاً.

يشتكي الكثير أن ليس لديهم وقت ليفعلوا الأشياء المحببة والمهمة لهم، فأنصح المقربين مني بأن يستيقظوا فجراً ويفعلوا تلك الأمور قبل أن يُسلب يومهم من بين أيديهم، لكن ما فهمته عن الكثير منهم أنهم لا يريدون أن يبدأوا يومهم فجراً، هم فقط يريدون أن تكون صلاة الفجر محطة في رحلة نومهم الممتعة، ربما كانت لهم ذكريات غير سعيدة مع الإستيقاظ فجراً مثل الذهاب إلي الإمتحانات أو السفر وما يحمله من قلق أو الذهاب إلي عمل غير محبب لهم، فهم دائماً يربطون تلك الذكريات بالإستيقاظ فجراً، أيضاً هم لا يريدون أن يضحوا بساعتين أو ثلاث ساعات ليلاً من أجل صلاة الفجر وما يلحقها من نجاح.

◀ هل لك أهداف؟!>

ربما جعلتك تلك العيشة الرتيبة مشغولاً لدرجة أنك نسيت أن تطمح وتضع أهدافاً، ربما ظننت أنه لا يحق لك هذا، أو ربما يكون لك بعض الأهداف التي كُتبت منذ سنوات فتكتفي بالنظر إليها بين الحين والآخر.

- هل طاقك نفسك مرة لأن تحفظ القرآن الكريم؟
- هل تمنيت أن يكون لك ورد يومي من القرآن الكريم؟
- هل خططت لأن تحصل علي الماجستير أو الدكتوراه؟
- هل تريد أن تتعلم لغة جديدة؟
- هل لاحظت زيادة في وزنك منذ أن بدأت ذلك العمل المكتبي؟

- هل لاحظتي تغير في شكلك منذ أن تزوجتي؟
- هل إشتريت بعض الكتب ولم تنظر فيها إلي الآن؟
- هل أردت أن تبدأ عملك الخاص؟
- هل تحب الكتابة ولكنك لم تكتب بعد؟
- هل تريد أن تقضي وقت أكثر مع عائلتك؟

صلاة الفجر، تلك الصلاة المعجزة قادرة علي تحقيق أهدافك - بإذن الله- التي أهملتها منذ سنين، أعلم أن هناك فقط ساعة أو ساعتين من بعد صلاة الفجر حتي الذهاب إلي عملك أو أشغالك، ولكنك لو خصصت تلك السويعات لتزكية نفسك والعمل علي أهدافك ستتغير حياتك ..

ساعة الفجر هذه لا تعادلها أي ساعة، يسميها علماء النفس غير المسلمين بالساعة السحرية Magic Hour، وإن أردت أن تعوضها في أي ساعة أخرى من اليوم لن تستطيع لأن تلك الساعة أصابتها دعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - "اللهم بارك لأمتي في بكورها".

في دراسة أجريت علي الرؤساء التنفيذيين لأنجح عشر شركات بالعالم، وجدوا أن الصفة المشتركة بينهم هي الإستيقاظ بين الثالثة والخامسة صباحاً، وقد قرأت سير الكثير من رجال الأعمال الذي تخطي حسابهم البنكي مليارات الدولارات فوجدت أن الإستيقاظ مبكراً صفة أساسية لهم حتي بعد أن بلغ

أكثرهم عمر السبعين، فبالرغم أنهم ليسوا في حاجة إلى العمل لكن ما زالوا يحافظون علي ساعة الفجر هذه !!

ذلك لأن ساعة الفجر غير قابلة للإختراق حيث يكون معظم سكان هذا الكوكب نائمون فلن يخترق أحد تلك السويغات التي خصصتها لنفسك، لن يتصل بك أحد، لن يطلب مقابلتك أحد، لذلك عندما تستغل هذه الساعة للعمل علي أهداف لن تُضطر أبداً إلى التأجيل بسبب أمور الحياة اليومية.

إعطِ الصباح فرصة وانضم إلي أولئك القلة المتميزون الذين يبدأون يومهم قبل معظم سكان هذا الكوكب، وقوفك بين يدي الله المهيمن وأنت تُصلي ركعتين سنة الفجر وإستشعارك قول النبي - عليه الصلاة والسلام - " ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها" وتلك العزة التي تغمرك وأنت تقف بين المصلين علي يقين بأن الملائكة تشهد تلك الصلاة، ثم الماضي وأنت تعلم أنك في ذمة الله القوي القدير.

◀ مع الصباح

مع الصباح .. وفقني الله أن أحفظ الكثير من سور القرآن الكريم رغم أنني أستغرق عشر دقائق فقط كل صباح لحفظ ثلاث آيات أو آيتين وقراءة تفسيرهم، العشر دقائق هذه تمكنك تقريباً من حفظ بعض السور في أقل من شهر مثل سورة الرعد وسورة إبراهيم وسورة الحج وسورة النور وسورة الفرقان وحفظ الكثير من سور جزء عم وجزء تبارك ..

هل خطر ببالك يوماً أن تكون من حفظة القرآن الكريم، أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، عشر دقائق كل يوم تمكنك من حفظ كتاب الله تقريباً في خمس أعوام، تخيل أنك بعد خمس أعوام من الآن أصبحت من حفظة كتاب الله، أي شرفاً هذا ..

قديماً كنت أشعر ببعض الحزن كلما مضي عام وأتي عام حيث كان الحال هو الحال، لكن مع ذلك الهدف (حفظ ثلاث آيات كل يوم) تغمرني سعادة مع كل يوم يمضي حيث أشعر

أنني أقرب أكثر من كتاب الله عز وجل، حتي وإن توفاني الله الحي قبل أن أحقق هدي كان لي أجر النية كاملاً لأنه الكريم الذي يعطي علي القليل الكثير.

مع الصباح .. لم تعد قراءة القرآن أمر أفعله كل رمضان فقط حيث أنني أخصص عشر دقائق كل صباح لقراءة القرآن سماعاً، بمعنى أنني أسمع أحد القراء بينما أقرأ ما يقوله من المصحف، هذه الطريقة فعالة حيث أنها تزيد من الفهم والخشوع أثناء قراءة القرآن، العشر دقائق هذه تعادل قراءة نصف جزء تقريباً، لكن ليست العبرة بالكثرة، نتدبر الآيات ولا تنشغل بالكم.

أعرف أحد الشيوخ الذي بدأ قراءة القرآن في رمضان وختمها رمضان الذي يليه حيث كان يقرأ قراءة تدبرية، يقف عند كل آية ولا يكتفي فقط بقراءة تفسير المفردات بل يبحث عن أسباب النزول ويتساءل لماذا جاءت هذه الآية بعد تلك وهكذا،

جربت تلك الطريقة فتغيرت حياتي حرفياً حيث ألفت كُتيب
أُتدبر فيه فقط عشر آيات وسميته "آيات تغير حياتك".

مع الصباح .. أصبحت أقرأ تقريباً أربعين كتاباً كل عام بعد أن
مضت سنين من عمري لم أتمكن فيها من قراءة بضع صفحات
في كتاب، أقرأ ساعة كل صباح مُقسمة إلي نصفين، أقرأ في
كل نصف ساعة صفحات كتاب، أتقنت مجالات كنت لا
أعرف ترجمة أسمائها، تقول الإحصائيات أن قراءة ساعة كل
يوم تعادل درجة دكتوراه في السنة، هناك كُتب لا تتعدي
صفحاتها المئتي صفحة وضع كُتبها فيها خبرات تزيد عن خمسون
عاماً ..

تخيل أنك تُجري حواراً مع الشيخ الشعراوي - رحمه الله - وهو
ينقل لك خواطره الإبداعية والملهمة في أهم الأمور في حياتك،
أو أنك مثلاً تتناول القهوة كل صباح مع الدكتور مصطفى محمود
- رحمه الله - وهو يقدم لك خلاصة أبحاثه وتجاربه التي
إستغرقت سنين ..

أو أنك في مقابلة مع السير ريتشارد برانسون Richard Branson مؤسس مجموعة شركات فيرجين وهو يعلمك كيف نجح في تأسيس أكثر من ٤٠٠ شركة ناجحة رغم أنه بدأ من لا شيء .. الكتاب نافذة نتطلع من خلالها إلى العالم.

مع الصباح .. وُلِدَ هذا الكتاب الذي تقرأه بين أيديك الآن، وأظن أنه لولا الصباح لأنفرت ساعات اليوم من بين يدي ولن أجد وقتاً لكتابته، ليس ذلك الكتاب فقط، بل ملايين الكتب حول العالم وُلِدَت في الصباح حيث ذلك السكون الذي يزينه فقط أصوات الطيور وهي تستقبل يومها ساعية إلى رزقها.

مع الصباح .. لم أعد ذلك الشخص الذي وضعته الحياة في سباق لا ينتهي حتي نسي أن يعيش، لا فرصة لأولئك الذين أسرهم العمل المكتبي أو متطلبات الحياة اليومية حتي زادت أوزانهم وتغيرت أشكالهم إلا الصباح ..

عشرون دقيقة كل صباح لممارسة الرياضة ستغير حياتك نفسياً وبدنياً، أي رياضة، المشي أو الجري أو رفع الأثقال أو ركوب دراجة هوائية، اختر ما يتناسب مع ظروفك، لا تفكر في الأعذار بل فكر في الحلول حيث لا شيء أهم من صحتك، مارس الرياضة داخل بيتك أو خارجه .. ممارسة الرياضة تزيد الشعور بالسعادة وتساعد في التغلب على المزاج السيء حيث يفرز الجسم مادة الإندروفين التي تساعد على الإسترخاء وتقليل الإحساس بالتوتر.

◀ أدومها وإن قل!!

أهم الأمور في الحياة هي أبسطها، وكما قالوا "قطرات الماء توشك أن تغلق الصخر"، الأمر ليس مُعقد، خصص ساعة كل صباح بعد صلاة الفجر وقسمها إلى ٢٠ دقيقة/ ٢٠ دقيقة/ ٢٠ دقيقة، أولها للقرآن وسماع موعظة تذكرك بالله عز وجل، ثانياً للقراءة، آخرها للرياضة ..

حافظ علي تلك الأمور وستعشق صلاة الفجر وسيصبح الصباح جزء من حياتك، يقول سيدي - عليه الصلاة والسلام - "أحب الأعمال إلي الله أدومها وإن قل"، أياً كانت أهدافك وآمالك خصص لها ساعة الفجر هذه وداوم عليها كل يوم، تلك الساعة التي تخصصها لنفسك كل صباح سوف تجعل كل دقيقة في يومك مفعمة بالطاقة والحماس، وستكسبك منظوراً جديداً يساعذك علي الإرتقاء في كل جوانب حياتك، سوف تغيرك هذه الساعة وتجعل منك إنساناً أفضل.

◀ معركة الفراش

نُخبرنا وكالة "ناسا" الفضائية أن المكوك الفضائي يستهلك قدرًا أكبر من الوقود في الدقائق القليلة الأولى بعد إطلاقه مما يستهلكه أثناء رحلته بالكامل حول الكرة الأرضية، لماذا؟ لأنه يحتاج في البداية إلي التغلب علي قوة الجاذبية الهائلة، وعندما يجتاز هذه المرحلة يصبح طيرانه أسهل بكثير ..

الأمر كذلك بالنسبة لك، عندما تستيقظ لصلاة الفجر يكون مستوي التحفيز عندك صفراً، فلا شيء أحب إليك في تلك اللحظات من النوم - رغم أن نومك مبكراً وحصولك علي قدر كافي نسبياً من النوم يقلل هذا الشعور - لذلك الطاقة المبذولة للتغلب علي جاذبية نفسك ووسوسة الشيطان في تلك اللحظة تكون أكبر ما يكون، لكن بمجرد أن تتغلب عليها تصبح الأمور أسهل بكثير.

أذكر الله العزيز، إعتدل من نومك وإجلس حيث يقول العلماء أن ملامسة القدم للأرض تعطي إشارة للمخ بالإستيقاظ، إذهب للوضوء وأسبغ الوضوء ويفضل غسل الرأس بالماء حتي تستفيق تماماً، حاول أن ترتدي شيء من أفضل ثيابك لصلاة الفجر وأن تطيب لأنك بعد لحظات ستكون في مقابلة مع ملك الملوك الذي له كل شيء وبيده كل شيء، أيضاً حسن المظهر والتطيب له أثر نفسي أن مرحلة النوم قد إنتهت تماماً وأنت الآن تستقبل يومك.

لا تسمح لنفسك بمشاورتك عند الإستيقاظ:

"نم عشر دقائق إضافية حتي تقوم نشيطة"

فأنت لو نمت تلك العشر دقائق ستقوم بعدها مُتعباً أكثر ولا تقوي علي شيء حيث يقول العلماء أن دورة النوم العميق تستغرق ساعة ونصف حتي تكتمل، فأنت عندما تستيقظ من نومك ثم تقرر أن تنام عشر دقائق إضافية يترجم المخ هذه الإشارة علي إنها بداية دورة نوم جديدة، فعندما تستيقظ بعد عشر دقائق أو حتي نصف ساعة أو ساعة فأنت لم تكمل دورة النوم (ساعة ونصف) فستستيقظ أنت ولكن مازال المخ نائماً فتكون مُتعباً جداً ليس لأنك لم تحصل علي قدر كافي من النوم ولكن لأنك نمت بإستراتيجية خاطئة ..

ربما جربت أنت هذا الأمر من قبل حيث تستيقظ فتقرر أن تنام عشر دقائق ثم تستيقظ فتشعر بتعب شديد فتنام مرة أخرى وهكذا، فتجد أنك نمت ساعتين بشكل متقطع ولكنك ما زالت

مُتعباً لأنك كل مرة تبدأ دورة نوم جديدة ولكنك لا تنهيا،
فأفضل قرار هو أن تقوم مباشرة بمجرد أن تستيقظ أول مرة ..
جرها!!

خدعوك فقالوا .. أن الجسم يحتاج ثمان ساعات من النوم، دع
هذه الخرافة جانباً فأنت تحتاج لأن تنام مضاعفات الساعة
والنصف حتي تستيقظ عند نهاية دورة النوم العميق، مضاعفات
ساعة ونصف هي ثلاث ساعات، أربع ساعات ونصف، ست
ساعات، سبع ساعات ونصف، تسع ساعات .. فعندما تستيقظ
بعد ساعات نوم تعادل أي من هذه الساعات تستيقظ وأنت
تشعر بنشاط كبير لأن دورة النوم العميق قد إكتملت ..
جرها!!

بالطبع لن تستطيع أن تحافظ علي النوم مُبكراً كل الأيام فهناك
أمور طارئة ستجبرك علي النوم متأخراً، عندما يحدث ذلك فلا
تُضيع صلاة الفجر وإستخدم طريقة "مضاعفات الساعة
والنصف" فيمكنك أن تنام ثلاث ساعات أو أربع ساعات
ونصف ثم تستيقظ لصلاة الفجر ..

في ظهيرة ذلك اليوم يمكنك أن تأخذ قيلولة لمدة لا تزيد عن نصف ساعة، أنا أحياناً أأخذ قيلولة لمدة عشر دقائق أو عشرون دقيقة وأشعر كأني نمت ساعات طويلة لأنني أستيقظ ومازال المخ في مرحلة النوم الخفيف (نصف ساعة)، لو زادت القيلولة عن نصف ساعة ستشعر بتعب شديد، ربما يبدو الأمر غريباً أن تنام لمدة عشر دقائق أو عشرون دقيقة ولكن كثير منا جرب هذا أوقات السفر أو أثناء ركوب الحافلات حيث يغفو الواحد منا عشر دقائق ثم يستيقظ وهو يشعر بنشاط كبير.

◀ والضحي

نزلت سورة الضحي علي النبي - صلي الله عليه وسلم - في وقت لم يكن يتلقي فيه أي وحي من الله سبحانه وتعالى لمدة ستة أشهر، لم ينزل جبريل -عليه السلام-، لم تأتي النبي -عليه الصلاة والسلام- أي رؤية، حتي قال المشركين أن رب محمد ودعه وقلاه أي تركه وبغضه، فأثر ذلك في نفس النبي - صلي الله عليه وسلم - وظن بأن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يكون نبي بعد الآن فكان في حالة من الحزن الشديد.

عندما أراد الله الرحيم أن يبشر النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه لم يتركه ولم يبغضه كما زعم المشركون، وعندما أراد الله عز وجل أن يُقسم بشيء يحث علي الإيجابية والتفاؤل والثقة بالله التقدير، إختار الله الحكيم "الضحى" وهو وقت بداية طلوع الشمس، فقال الله العليم "والضحى .. والليل إذا سجي .. ما ودعك ربك وما قلى" وهي إشارة لنا أن ذلك الوقت "الضحى" - الذي يأتي بعد ظلام الفجر الشديد - هو مصدر للسعادة والتفاؤل والراحة النفسية.

وكان الله الودود يقدم دواءً لكل من كبلته الهموم والأحزان، وأول وصفة في هذا الدواء هي تأمل الضحى حيث بداية طلوع الشمس التي تأتي بعد سكون الليل الهاديء وقت الفجر "والضحى .. والليل إذا سجي"، قدر عجيب من الطاقة الإيجابية والتفاؤل يسري في نفس كل من حضر هذين المشهدين، مشهد سكون الليل وقت الفجر ومشهد طلوع الشمس وقت الضحى، وليس هذا إلا لهؤلاء الذين يبدأوا يومهم صباحاً مع الفجر.

وبنت الدراسة .. التي أأها باحثون من جامعة تورنتو الكندية على عينة شملت ٧٣٥ متطوعا من الشباب و كبار السن، أن الأشخاص المحبين للسهر والذين يُسمون بالليليين تُتولد لديهم مشاعر التشاؤم، وكثيرا ما يكونوا في حالة مزاجية سيئة مقارنة بنظرائهم الذين ينامون بالليل ويستيقظون مبكراً قبل طلوع الشمس مما يجعلهم يتمتعون أيضا إلى جانب هذه الميزة النفسية بجهاز مناعي قوي.

وعزت الدراسة .. سبب سعادة من يستيقظون مبكراً إلى أنهم يعيشون حياة طبيعة ويعملون في أجواء ملائمة تساعد على ذلك، بعكس من يسمون بالليليين الذين يجدون صعوبة في التأقلم مع ظروف الحياة الطبيعية خاصة فيما يتعلق بأعمالهم، مما يولد لديهم مشاعر القلق وعدم الرضا عن أنفسهم والآخرين.

هناك مفهوم جديد في الطب يدرس توقيتات حدوث الأمراض فوجدوا أن بعض الأمراض تُصيب الإنسان في ساعة معينة، يقول الدكتور حسام موافي إستشاري طب أمراض القلب أن ٨٠% من جلطات القلب والمنخ تحدث الساعة الثامنة صباحاً، تفسير هذا أن الساعة الثامنة صباحاً هي أسوأ وقت للشرايين، ذلك لأنه عندما يأتي الليل تبطء حركة الدورة الدموية، عند النوم يمكن أن يؤدي هذا البطء في حركة الدم إلي تجلطة ولكن رحمة الله القدير بنا أن جسم الإنسان يفرز مادة تعمل علي تضيق شرايين الدم حتي تحافظ علي سرعتها - ونري هذا واضحاً عندما نمسك خرطوم مياه ويكون تدفق الماء فيه ضعيف فنضغط علي الخرطوم "نضيقه" حتي يزداد تدفق الماء - وجد الأطباء أن الشرايين تُصبح أضيق ما يكون في الساعة الثامنة صباحاً مما يسبب الجلطة، لذلك ينصح الأطباء -غير المسلمين- بالإستيقاظ قبل طلع الشمس لكسر هذه المادة التي تعمل علي تضيق الشرايين قبل أن تصل لذروتها وتسبب الجلطة ..

.. أخبرنا الله العزيز بها مباشرة في آذان الفجر خاصة ..

الصلاة خيرٌ من النوم!!

(١٠)

بيتٌ هناك

تُطَّير الصحف .. تُنصب الموازين .. تُوزن الأعمال .. الوجوه
خاشعة .. القلوب خائفة .. الأجساد ترتجف .. وأنت مهموم
حزين لا تدري ما يفعل بك .. هل سيكون ميزانك لك أم
عليك ؟!

وفي لحظات الندم علي ما فات والجهل بما هو آت .. وبينما
تُنادي الملائكة علي أهل الجنة، أولئك الذين يدخلونها أول من
يدخلونها .. وأنت لا تُلقي سماعاً لهم .. فأمامك حساب طويل ..
فالذنوب ثقيلة والحر شديد .. إذ بك تسمع إسمك يُنادي عليه !!

فتنتبه ولا تكاد تُصدق!!

وتُحدث نفسك .. آنا من أهل الجنة !!

ما لي ولهم ؟!

كيف لي أن أنضم لهؤلاء الشهداء والمتقين والمحسنين ؟!

فتعيد السمع مرة أخرى فإذا هو أنت .. إسمك أنت .. فيأتيك
ملكٌ من الملائكة يأخذ بيدك وهو يقول .. لك بيتٌ هناك !!!!

بيت في الجنة !! لي أنا !! .. كيف ومتي ؟؟ .. تتسائل وأنت تذكر
تفاصيل حياتك الدنيا وكأنها تُعرض أمامك، فأنت لم تكن من
الشهداء الذين ماتوا في سبيل الله، لم تكن من المتقين الذين كانوا
يعبدون الله كأنهم يروه، كنت كارة تُذنب وكارة تعود، كارة
تستقيم وكارة تحيد .. وبينما أنت غارق في أفكارك تستعيد
ذكريات حياتك الدنيا، تنتبه وأنت أمام بيتك، بيت الجنة، فإذا
هو لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطه المسك الأذفر، وتربته
الزعفران وحصابؤه اللؤلؤ والياقوت والمرجان، لا تُبلي فيه
الثياب ولا يفني فيه الشباب .. مكتوب علي بابه "السنن
الرواتب"!!

نعم .. قالها سيدي - صلي الله عليه وسلم :-

"من صَلَّى اثنتي عشرة ركعة غير الفريضة في يومٍ وليلة بُنيَ له
بهن بيتٌ في الجنة"

حتي وإن صليتها ولو ليومٍ واحد، يُبني لك به بيتاً يكون حُجةً لك،
نعم فأنت بذلك قد سجلت إسمك ضمن سكان الجنة، لك بيتٌ
هناك، والله الودود الرحيم لن يُضيع عبداً له بيتاً في الجنة، فهو
خير العادلين بل هو العدل ذاته، وفي استطاعتك أن تبني في كل
يومٍ بيتاً، تخيل أنك تُحاسب ومُسجل في كتابك أنك تمتلك مئات
البيوت في الجنة، كيف لك ألا تدخلها والذي يحاسبك رحمته
وسعت كل شيء..

قالوا ..

برواتب السنين لا تبني بيتاً في الدنيا ..

وبالسنن الرواتب تبني بيتاً في الجنة ..

◀ السنن الرواتب هي:

- ركعتان قبل الفجر .. وإن لم تدركهما قبل الفجر يمكنك أن تصليهما بعده (٢).
- أربع ركعات قبل الظهر وإثنتين بعده .. أو العكس اثنتين قبل الظهر وأربعة بعده (٦).
- ركعتان بعد المغرب (٢).
- ركعتان بعد العشاء (٢).

◀ حتي أحبه

قال الله عز وجل في الحديث القدسي "ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما إقترضته عليه .. ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه .. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".

لن تستطيع أن تُحافظ علي النوافل والتي منها السُنن الرواتب حتي تُحب الصلاة، ترتقي من مرتبة أداء الفرائض إلي مرتبة حُب العبادات، التذكير اليومي بالله عز وجل ومعرفته والأخذ بمسببات الخشوع يصل بك إلي مقام "حُب العبادات"، كذلك الإعتماد علي الصلاة كوسيلة لحل مشكلاتك اليومية أياً كانت هذه المشكلات وإبصارك نتائجها تعزز قيمة الصلاة في قلبك فتدفعك إلي التنفل.

حفاظك علي صلاة النوافل بجانب صلاة الفرائض يحمي صلاة الفرائض، فأنت بذلك صعبت المهمة علي نفسك وعلي الشيطان في أن يخوضا معركة ضدك لتتنازل عن أياً من صلوات الفريضة، فأمامهم الآن مهمة أولية للتأثير عليك لترك واحدة من صلاة النوافل، وكلما تحصنت بصلاة النوافل كلما ضعف عدواك، نفسك والشيطان، وكلما إتسعت إمبراطورية صلاتك كلما هابك عدواك، وإذا هابك عدواك تركوك فلن تسمع لهم همساً.

الحمد لله الذي جعل الطريق إلي حبه واضحاً مُيسراً لمن أراد أن يأخذ به .. أريدك الآن أن تُفرغ عقلك وتفكر بهدوء .. هل تخيلت معني أن الله يُحبك؟ ..

أرجو ألا تستقبل هذه الكلمات كما إعتدت أن تستقبلها، فهي ليست عادية .. تخيل أن الله يُحبك .. الله .. الله الذي له كل شيء .. المتحكم في كل شيء .. منذ خلق الأرض، جاء الملوك وراحوا، إغتني من إغتني وإفقر من إفقر، تبدلت الأحوال، أمم رفعت وأمم ذلت .. والله هو الله .. هو الملك .. هو الغني .. هو الصمد .. هو الرافع هو الخافض .. تخيل أنك تتعامل مع ثابت واحد في حياتك .. هو الله .. وتخيل أن الله يُحبك.

إذا أحبك الله .. أحبك أهل السماء .. وأحبك أهل الأرض .. قال صلى الله عليه وسلم: " إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض "

إذا أحبك الله .. منحك السكينة .. السكينة حالة من الرضا، من السعادة، من التفاؤل، من القوة، من الثقة بالنفس، من سلام الرأي، من صحة الرؤيا، هذه السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء..

إذا أحبك الله .. منحك الرضا .. الرضا هو جنة الدنيا .. إذا منحك الله الرضا رأيت كل شيء جميلاً .. وإذا سلبت الرضا لن تسعد حتي ولو إمتلك الدنيا كلها .. كثيرة هي القصص التي تحكي واقع أولئك الذين إمتلكوا الكثير من زينة الدنيا ومع ذلك نجد القلق رقيقاً لهم .. وقابلت الكثير ممن يملكون بالكاد قوت يومهم ولكنهم بداخلهم سعادة لو وزعت علي أهل بلدة لكفتهم .. وأيضاً قابلت القليل الذين إمتلكوا كثير من زينة الدنيا مع الرضا فسعدوا وأسعدوا من حولهم .. الرضا هو العامل الأساسي في معادلة السعادة.

إذا أحبك الله .. منحك الحكمة .. فلا تجزع لمصيبة، ولا تغتر
 بنعمة .. منح الله الحكمة لتلك العجوز التي إحترق زرعها
 وفقدت كل ما تملك، فنظرت إلى السماء مبتسمة وقالت "إفعل
 ما شئت، فرزقي عليك" .. وحُجبت الحكمة عن صاحب الجنة
 فقال لصاحبه وهو يحاوره "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً"
 فأحيط بثمره وأصبح يقلب كفيه علي ما أنفق فيها وهي خاوية.

إجعل محبة الله هي الهدف الأساسي لك في الحياة، معامل
 واحد يصلح لجميع معادلات الحياة .. حب الله .. لكنك علمت
 أن حب الله تعالى مُرتبط بحب الصلاة، فكلمها أحبت الصلاة
 وكلما إزدت من الصلاة كلما أحبك الله تعالى .. ولا يزال
 عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه.

(١١)

وترتيبها

أُتري لو أن مهندساً يبني بيتاً دون تخطيط أو رسم، فهو يطلب من العمال أن يبدأوا بالبناء دون وضع أساسات وعندما يكتشف الخطأ الفادح الذي فعله يطلب منهم هدم ما بنوه حتي يتم حفر أساسات مناسبة .. بعد حفر الأساس يبدأ بالبناء من جديد ثم يكتشف أنه لم يتم بناء الأعمدة المناسبة فيشرع في الهدم من جديد .. وهكذا .. تخيل كمية الأخطاء التي يمكن لهذا المهندس أن يتركها لمجرد أنه لم يخطط ويحضر جيداً للكيفية التي يجب أن يتم بناء البيت عليها.

الغالبية العظمى منا تعيش حياتها علي هذه الشاكلة، نبدأ يومنا ونحن لا ندري ماهية الطريقة المثلي التي يجب أن يسير عليها يومنا، لا ندري ماهية الأمور المهمة التي يجب أن نعطيها إهتمامنا وماهية الأمور الأقل أهمية، فنترك أنفسنا للظروف، ولا مانع في أن نستغرق ساعات في حديث لا فائدة منه أو مقابلات لا تجلب لنا إلا التعب النفسي والبدني.

ولعل من أهم الأسباب لعدم الحفاظ علي الصلاة هو سوء التخطيط لها، فكيف لك أن تؤدي صلاة الظهر إن كان وقتها هو نفس الوقت الذي حجزته لموعد الطبيب؟ أو أن وقت صلاة العصر هو نفسه وقت مقابلة الوظيفة الجديدة!! أو إنك إخترت وقت تناول الغذاء مع صديقك العائد من السفر ليكون مع وقت صلاة المغرب !!

سوء التخطيط يفتح باباً لنفسك وللشيطان للمماطلة في أداء الصلاة، فأول أذارك المنطقية هي أن تؤدي الصلاة بعد الإنهاء من الأمر الذي بين أيديك الآن، وما أن تنتهي حتي

تجد أن الأمر ثقيل جداً حيث فات أول وقت الصلاة، الوقت الذي يُدبر فيه الشيطان حتي لا يسمع الأذان ويكون فيه مستوي الطاقة أعلي ما يكون كمُحفز للصلاة، فحاول ألا تفتح أبواباً للأعذار المنطقية بسوء تخطيطك للصلاة.

◀ رتب يومك

لن تتمكن من الحفاظ علي الصلاة بالطريقة المثلي لو أنك دائماً تتفاجأ بوقت الصلاة حيث يؤذن الأذان فتجد نفسك في موقف يمنعك من الصلاة علي وقتها، رتب يومك وأعمالك واجعلها تدور حول الصلاة بدلاً من أن تدور الصلاة حول أعمالك فتضيع.

رتب مواعيدك بحيث تكون في الأوقات بين الصلاة وليست في وقت الصلاة نفسها، كان أحد أساتذتي - واحد من هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة - يرتب كل مقابلاته أو دروسه بحيث تكون بعد وقت الصلاة، فإذا أراد أحدهم أن يقابله يُخبره بأن يتقابلا بعد صلاة العصر مثلاً أو أن موعد الدرس سيكون بعد

صلاة العشاء .. حتي أن أحدهم سأله مرة "أي ساعة؟" فقال له
لا أدري إن كان وقت صلاة العصر الساعة التاسعة مساءً
فسأقابلك بعدها.

هذا الترتيب الجميل يساعد للمحافظة علي الصلاة، وقد أخذت
هذه العادة عن أستاذي فترتبت حياتي فأصبحت أوقات
الصلاة أعمدة أساسية في يومي أبني حولها أعمالي وأموري وليس
العكس.

فرض الله الحكيم العليم الصلاة بأوقاتها لترتب معها حياتنا،
فلتكن لك أمور تنجزها من بعد صلاة الفجر حتي وقت الذهاب
إلي العمل .. أثناء العمل رتب المهمات التي عليك إنجازها قبل
صلاة الظهر ومهمات أخرى تنجزها بين وقت الظهر والعصر ..
ربما يكون الوقت بين العصر والمغرب هو وقت الراحة بعد
العمل إجمعه هكذا بحيث تكون حدودك وقت صلاة المغرب ..
أيًا كانت الأمور التي عليك فعلها إجعلها بين أوقات الصلاة
يرزقك الله الكريم بركة الوقت.

◀ وصفة للسعادة

نلخص جورج برنارشو George Bernard Shaw وصفته
للسعادة حين قال "إن سر الإحساس بالتعاسة هو أن يتوفر لديك
الوقت لتتساءل أسعيد أنت أم لا" ..

كان برنارشو علي حق، فالفراغ سُم قاتل، إبق منشغلاً بحيث لا
يتوفر لديك وقت للقلق أو الهم، أن تكون مُنشغلاً ليس
بالضرورة أن تكون في مكان عملك لكن يمكنك أن تبقي
مُنشغلاً حتي باللعب مع أطفالك أو قضاء وقت ممتع مع عائلتك.

إملاً الأوقات بين الصلوات بمهام عليك إنجازها وإستخدم
أوقات الصلاة كأوقات راحة بين تلك المهام وأضمن لك -
بإذن الله - أن تخلد إلي النوم في ليلتك سعيداً مطمئناً، لا
تسمح بالفراغ أن ينال منك فإن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ
صاحبه من العمل.

إننا لا نجد للقلق أثراً عندما نعكف على الإنشغال بالعمل ولكن ساعات الفراغ التي تعقب العمل هي أخطر الساعات التي تبديد السعادة، يوم تجد في حياتك فراغاً فتهياً حينها اللهم والحزن، فستهاجمك شياطين القلق وتفتح لك ملفات الماضي والمستقبل.

يستخدم الأطباء النفسيين الملحقين بجيوش الحرب هذا القانون البسيط عندما كان يأتي إليهم الجنود الذين عصفت الحرب أعصابهم، فكانوا يشغلون هؤلاء الجنود المصابون بالإنهيار العصبي بأحد أوجه النشاط كصيد السمك أو لعب الكرة أو ري الحدائق، هذا الإنشغال لم يسمح لهم حتي بالتفكير فيما مر بهم من تجارب.

وقد أصبح إسم العلاج الوظيفي Occupational Therapy يطلق الآن علي ذلك الفرع من الطب النفسي الذي يصف العمل والإنشغال كعلاج حيث أن إحساساً بالإطمئنان والسلم النفسي يطغي علي أعصاب الإنسان عندما يستغرق في العمل.

وقد روي ريتشارد بيرد في كتابه "وحيد" Richard Byrd- Alone كيف أن الإنشغال بالعمل أنقذ حياته عندما عاش خمسة أشهر وحيداً في خيمة في ثلوج القطب الجنوبي ليس معه أحد ولا علي بعد مائة ميل منه أي مخلوق من أي نوع .. قال:

"في الليل قبل أن أطفئ المصباح لآوي إلي فراشي كنت أُصور لنفسي عمل الغد، كنت أقسم الغد في خيالي إلي ساعات، فأخصص منها ساعتين للعمل في إنشاء نفق، وساعة لإزالة الثلوج المتراكمة، وساعة لتركيب أرفف للكتب في عربة الطعام .. وبهذا كنت أقطع الوقت، وأحسب أنه لولا هذه الطريقة أو ما يشابهها لأصبحت أيامي بلا هدف ولا غاية ولإنتهت بهلاك محقق".

الإستغراق في العمل هو أعظم دواء للسعادة .. لذلك لا تظن أن بقائك في حالة اللاشيء هو راحة لك .. رتب يومك مع ترتيب الصلاة .. إملأ الأوقات بين الصلاة بحيث لا يتسع لك وقت للقلق والحزن .. فلتحيا بالصلاة .. جربها !!

(١٢)

حماقات إرتكبتها

كان هذا عنوان ملف خاص في أحد أدراج مكتب ديل كارنيجي Dale Carnegie الكاتب الأمريكي المشهور الذي باعت كتبه ملايين النسخ، يقول كارنيجي أنه يعتبر ملف "حماقات إرتكبتها" بمثابة سجل واف للأخطاء والحماقات التي قام بها فعندما يستخرج هذا الملف ويعيد قرائته يشعر بأنه قادر، مستعيناً بعبر الماضي، علي مواجهة أصعب المشكلات وجعل المستقبل أفضل.

لم يكن كارنيجي هو الوحيد الذي يستخدم آلية "حماقات إرتكبتها" لتحسين حياته وترك بصمة في هذا العالم .. أيضاً استخدم هذه الآلية جو جيرارد Joe Girard الذي دخل موسوعة جينيس كأفضل بائع في العالم وهو مؤلف كتاب "كيف تباع أي شيء لأي إنسان How To Sell Anything To Anybody"، يقول جو جيرارد أن من أهم الأسباب التي جعلته أفضل رجل مبيعات في العالم هو التعلم من حماقاته، فقد كان يراجع باستمرار ملفات كل صفقاته الفاشلة حتي يصل إلي سبب فشل كل صفقة فيتعلم منه ويتفادي تكراره مما جعله يحقق رقم قياسي في عدد الصفقات الناجحة.

ولعل من نافلة القول القول بأن هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الذي نعيشه الآن يرجع لآلية "حماقات إرتكبتها"، أترى كيف كنا لنُصنَع تلك السيارات الحديثة التي تتمتع بكل وسائل الراحة لو لم نتعلم من حماقات صناعة أول سيارة التي كانت تبدو كقطعة حديد؟! بل كيف كنا لنقلل حوادث الطائرات الكارثية - بفضل من الله - لو إننا لم نتعلم من حماقات الحوادث الماضية؟!

التعلم من الأخطاء والحقائق هو أفضل وأسرع وسيلة لكل من يبحث عن حياة ناجحة سعيدة، ينطبق هذا على الأفراد والشركات والدول، كان بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin، الملقب بعقري الولايات المتحدة وهو يعتبر أحد مؤسسيها بالرغم أنه لم يكن من حملة الشهادات، يخصص مساء كل يوم لمراجعة الحقائق التي إرتكبها في يومه هذا، ولبث فرانكلين في حرب مستمرة ضد أخطائه وحقايقه حتي غدا عالم ومخترع ورجل دولة ودبلوماسي.

◀ إستخدم أخطاءك

ماضيك الحافل بالتعثرات والحقائق - معذرة - التي باعدت بينك وبين الصلاة يمكن أن يكون في صالحك الآن إذا إستخدمته، ماضيك هو أغني المصادر بالخبرات التي يمكن أن تعتمد عليها لتحيا حياة أفضل، مهما قرأت من كتب وحصلت علي معلومات يبقي ماضيك هو المصدر الذي يزودك بالمعلومات التي تتناسب مع حياتك خاصة.

الطريق الذي تسلكه الآن لتنضم إلي هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة يحوي سعادة الدنيا والآخرة، الآن قد بدأت معركة حامية في مواجهة نفسك وشيطانك وربما قد تحالفك الهزيمة في قليل من الجولات، فلا تكرر الخطأ مرتين، في كل جولة تخسر أمام نفسك وشيطانك فتفوتك صلاة، حل هذه الجولة بكل تفاصيلها وتعرف علي سبب الهزيمة حتي لا تكرره.

قال أحد الحكماء أن الغبي هو من يكرر خطأه مرتين، أما الذكي هو من يُخطئ مرة واحدة ولا يكرر الخطأ، بينما الأذكي هو من يتعلم من أخطاء الغبي والذكي فيتفادي فعلهم.

نريد أنا وأنت أن ننضم لفئة الأذكياء، ففي كل مرة تفوتنا صلاة نقف عند الأسباب ونتعلم منها ونتفادي تكرارها .. من خلال حديثي مع هؤلاء الذين قلما فاتتهم صلاة وجدتهم يستخدمون آلية "حماقات إرتكبتها" بشكل تلقائي فأصبح لهم بعض العادات الثابتة التي تكونت بتراكم خبرات ماضيهم مع الصلاة.

فثلاً أغلبيتهم يتوضؤون قبل الخروج من بيوتهم، فإذا جاء وقت الصلاة وهم في الخارج سهلت عليهم الصلاة، هم بذلك منعوا شيطانهم من الوسوسة بشأن عملية الوضوء، فجميعاً نعلم أن الشيطان في هذه الحالة يصور لنا أنفسنا ونحن نخلع أحذيتنا وجواربنا وكأننا نخلع ضروسنا من الألم، وأن سراويلنا سوف تبطل وتصبح غير أنيقة قبل موعدنا المهم بعد الصلاة، ولا مانع لديه أن يصور لنا أحذيتنا وقد سُرقت، أو أننا نسينا الساعة الأنيقة الغالية في المسجد وذهبنا، ففي بند الوضوء فقط يستطيع الشيطان أن يوسوس لنا بمئات السيناريوهات التي تنتهي بنا بأن نقرر الصلاة في البيت عندما نعود ونفوت الصلاة علي وقتها وأنا وأنت نعلم أن بمجرد عودتنا للبيت سنواجه معركة أشد من التي كانت خارجه وستضيع الصلاة.

لذلك كل هؤلاء الذين نجحوا في الحفاظ علي الصلاة يصلون بمجرد سماع الآذان كما ذكرنا ولا يسمحوا لأي عائق -أياً كان- أن يمنعهم من الصلاة في أول وقتها، فقد تعلموا أن كلما تأخر وقت الصلاة كلما إزدادت ثقلًا ..

لا يشاورون أنفسهم .. بمجرد سماع الآذان يشغلون أنفسهم بالحركة إما للوضوء أو الذهاب إلى المسجد، فلا تجد أنفسهم بد إلا طاعتهم والإنسياق لأمرهم.

ولهذا نذكر قاعدة مهمة في علم النفس تسمى قاعدة الخمس ثواني Five Seconds Rule، تخبرنا هذه القاعدة أن الإنسان لديه فقط خمس ثواني ليضع القرارات الصغيرة اليومية في الفعل أو أن تذهب هذه القرارات في صورة أفكار عابرة ..

فثلاً عند سماع المنبه صباحاً إن لم تقرر أن تستيقظ بوضع الجسم في حالة حركة خلال خمس ثواني سوف تُكمل نومك .. أيضاً عقلك لديه خمس ثواني فقط ليقرر أن يُحافظ علي النظام الغذائي الذي وضعته لنفسك أم أن تلتهم قطعة الكيك التي أمامك .. ينطبق الأمر أيضاً علي الصلاة، بمجرد سماع الآذان إن لم تضع جسمك في حالة حركة ذهاباً إلي الوضوء أو المسجد خلال خمس ثواني فستبدأ معركة ضد نفسك والشیطان في المشاورة في أمر الصلاة.

أيضاً من الأمور التي تعلمت منها شخصياً وساعدتني - بفضل من الله - في المحافظة علي صلاة الفجر هي الإغتسال بماء بارد (الإستحمام) بمجرد الإستيقاظ من النوم أيّاً كانت حالة الطقس أو علي الأقل غسل الرأس كاملاً بماء بارد، فهذا يعمل علي تنشيط الدورة الدموية في الجسم وبث النشاط فيه .. فلا تستقبل يومك ومازالت حالة النعاس مسيطره غالبه عليك.

أيضاً وجدت بعض هؤلاء - الذين قلبها فاتهم صلاة - يجعل وقت تناول الطعام بعد الصلاة وليس قبلها، فتلك الفئة كانت تشعر بثقل وكسل في حالة تناول الطعام قبل وقت الصلاة فقرروا أن يجعلوا وقت تناول الطعام بعد وليس قبل .. علي الجانب الآخر وجدت فئة لا تستطيع الصلاة علي النحو المتقن في حالة الجوع فهم يفضلون تناول الطعام قبل وقت الصلاة حتي يزودوا بالطاقة .. إختبر نفسك في هذا الأمر لتعرف أي من الفئتين هي.

**** تعلم من أخطاءك اليومية التي باعدت بينك وبين الصلاة ****
**** حلل أخطاءك .. تجنب تكرارها ****

(١٣)

وأصطر عليها

وأصطر عليها .. كان هذا أمر من الله العليم الحكيم لحبيبه - عليه الصلاة والسلام - الذي كان يُصلي صلاة النافلة بالليل حتي تنفطر قدماه وكان جزءاً لا يتجزأ من صلاة الفرض، ففي عصره إرتبطت صلاة الفرض بوجوده .. المُصطفى من كل الخلق ليحمل مهمة تبليغ فرض الصلاة للبشرية .. أتري لماذا يوجه مثل هذا الأمر للمفوض الأول عن الله الحكيم لتبليغ أمر الصلاة .. هل رأي الله اللطيف من النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - شيئاً من الجزع في نفسه بشأن الصلاة فأرسل إليه هذه النصيحة في صورة أمر .. وأصطر عليها !!

بالطبع لا ..

كيف وقد كانت الصلاة له قرة عين ومبلغ الراحة ..
 كيف وقد كان يصلي في كل وقت .. فروض وسُنن ونافلة ..
 حضراً وسفراً .. قبل نومه صلاة وبعد إستيقاظه صلاة .. كان
 شكره صلاة وصبره صلاة .. فرحه صلاة وحرزه صلاة .. رخاءه
 صلاة وشدته صلاة .. إذن لماذا " وأصطر عليها " !!

المقصود بالصبر هنا هو الصبر علي نتائج الصلاة، الصبر علي
 ثمارها، كانت الصلاة ولا تزال هي الفعل الأكثر تكراراً في
 حياة أي مسلم، جعلها الله العليم الحكيم أداة تغيير، هي الفعل
 القادر علي تغيير سلوك وفكر من يقوم به، لكن هذا التغيير لن
 يحدث بين ليلة وضحاها لذلك جاءت "وأصطر عليها".

"وأصطر عليها" جاءت في سياق من الآيات تتحدث عن
 الصمود والمثابرة والصبر لتحقيق هدف معين (رسالة الإسلام
 والإيمان آنذاك) وعدم الإكتراث لتقد الناقلين ولا لظواهر
 الأمور التي من شأنها تشتيت كل من يسعى لهذا الهدف.

"فاصبر علي ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها ..

ومن ءانآيء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي ..

ولا تمدن عينيك إلي ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا

لنفتنهم فيه ..

ورزق ربك خيرٌ وأبقي ..

وأمر أهلك بالصلاة .. وأصطبر عليها .. لا نسألك رزقاً

نحن نرزقك والعاقبة للتقوي"

جاءت الصلاة بتكرارها كتدريب علي الصمود والمثابرة من أجل تحقيق هدف هو الأسمى في تاريخ البشرية (نشر دعوة الإسلام) كان الساعي لهذا الهدف سيد الخلق - عليه الصلاة والسلام - لا يملك شيئاً من ماديّات هذه الدنيا، صمد وثابر وحيداً - معتمداً علي الله القوي القدير- في مواجهة أشرس البشر وأصلب الشخصيات، ليس ذلك فقط بل في مواجهة مغريات الحياة التي كانت تُعرض له أو التي حُرِم منها من أجل تحقيق هدفه.

نبح النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - من تحقيق هدفه بالصمود والمثابرة حتي خضع لرسالته أصلب وأعند الشخصيات مثل الفاروق عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد - رضي الله عنهم-، وظل الصمود والمثابرة صفة من صفات سيدي - عليه السلام- حتي فتح مكة.

◀ نابليون هيل

نابليون هيل Napoleon Hill هو كاتب أمريكي مشهور، لن تجد شخصاً ناجحاً في مجال ريادة الأعمال الآن إلا وقد قرأ كتابه الأشهر "فكر تصبح غنياً - Think & Grow Rich" الذي طُبع عام ١٩٣٧ ولكنه مازال يُباع حتي الآن وقد صُنِف ضمن أكثر الكتب مبيعاً علي مر التاريخ.

إستغرق نابليون هيل أكثر من ٢٥ عاماً لتأليف هذا الكتاب الذي أعتمد علي البحث والملاحظة وتجميع المعلومات وتدوين الأفكار، بعد قيامه بمقابلة ٤٠ مليونير في مجالات مختلفة

ليتعرّف على الرابطة المشترك ونقطة التلاقي بين جميع من استطاعوا تكوين ثروات ضخمة.

ففي بدايات القرن العشرين كلف الملياردير الاسكتلندي الأصل أندرو كارنيجي Andrew Carnegie الكاتب الصحفي الشاب نابليون هيل بأن يقوم بعقد مقابلات مع عدداً كبيراً من المليونيرات في ذلك الوقت وكان علي رأسهم أندرو كارنيجي لكي يتعرف علي أسرارهم وينشرها في كتاب، حيث أن جميع هؤلاء المليونيرات قد بدأوا من الصفر ولم يكن للصدفة أو الحظ دور في تكوين ثرواتهم.

فإنطلق هذا الأخير ليلتقي بنخبة من الناجحين ومليونيرات ذلك الزمان، حيث إلتقى هنري فورد ملك صناعة السيارات، وتشارلز شواب مليونير الحديد والصلب، وجون روكفولر أغني رجل في ذلك العصر، وثيودور روزفلت الرئيس الأمريكي السابق، ورجل الأعمال توماس أديسون الملقب بصاحب الألف اختراع وغيرهم الكثيرين؛ ليستخلص منهم آراءهم ورؤيتهم حول

صناعة الثروة والمال، فهي روايات شخصية عن رحلة كفاح ونجاح وخطة تطوير الشخصية ووضع كل هذه الأسرار والمبادئ بشكل مرتب في كتابه "فكر تصبح غنياً - Think & Grow Rich".

ذكر نابليون هيل صفة المثابرة Persistence كبدأ من المبادئ الأساسية للنجاح في الفصل التاسع من كتابه وكانت المثابرة بالفعل صفة مشتركة بين كل هؤلاء المليونيرات، لكن العجيب أنه عندما أراد نابليون هيل أن يعطي مثالاً عن صفة المثابرة ذكر النبي محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وخصص له فقرة خاصة سماها "خاتم الأنبياء العظيم - The Last Great Prophet".

تحدث فيها كيف أن النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - أحدث هذا التغيير في البشرية رغم أنه لم يتلقي شيئاً من التعليم الإعتيادي في عصره ولم يكن يستخدم المعجزات كأداة لنشر رسالته كما حدث مع الأنبياء من قبله، أيضاً لم يكن شخصاً غنياً

أو صاحب نفوذ وسلطة ومع ذلك ففي سنوات قليلة خضعت الجزيرة العربية كلها لرسالة النبي الكريم سيدي - عليه أفضل الصلاة والسلام - بفضل مثابرته علي تحقيق غايته ونشر رسالته.

المثابرة تلك الصفة التي أراد الله العليم الخبير أن يودعها في نفس نبيه الكريم - عليه الصلاة والسلام - حتي يستطيع تحقيق هدفه، جاءت الصلاة بكل ما فيها كتدريب يومي لثقل صفة المثابرة في نفس كل من يريدھا، لذلك جاءت "وأصطبر عليها" لأن ثمار الصلاة لا تُحصَد بين ليلة وضحاھا، وجد ثمارھا النبي - عليه السلام - في كل عقبة واجھھا، ففي كل محنة كانت الصلاة هي المعين له علي المثابرة .. فسقطت أمامھا كل المحن وزالت معها كل العقبات.

◀ إقامة إنسان

الغرض من إقامة الصلاة هو إقامة إنسان، ذلك التأثير البسيط اليومي المتكرر الذي تضيفه الصلاة إلى شخصية المصل يؤدي إلى إقامة إنسان جديد مع الوقت.

الصلاة، بهذا المعنى، هي دورة تدريبية تستغرق عمرك بأكمله، تلتزم بحضورها خمس مرات كل يوم، تقصيرك في الحضور سيؤثر حتماً على أدائك خارجها، حضورك فقط لمجرد الحضور، ليُشطب إسمك من سجلات الغائبين سيؤثر أيضاً في أدائك خارجها، حضورك دونما تركيز سيؤثر على تركيزك فيما تفعله بعدها.

كنت أتحدث مع أحد أبطال العالم في رياضة كمال الأجسام وسألته عن التمارين التي يمارسها حتي تغير شكل جسمه إلى هذه الدرجة حيث كان منكبه عريض وخصره نحيف، فأخبرني عن بعض التمارين التي كنت أعرف معظمها تقريبا ولكنه أضاف معلومة مهمة في آخر الحديث، أخبرني بأن هناك عامل

يغفل عنه الكثير ممن يسعون إلى تغيير شكل أجسامهم، ذلك العامل هو الوقت، نعم أخبرني بأن هذا الجسم المثالي إستغرق سنوات من التدريب اليومي حتي يصل إلي هذه الصورة !!

كما أن تغيير الجسد يحتاج الي الصبر والتدريب اليومي لسنوات، فإن تغيير شخصية الإنسان وسلوكه وإقامة إنسان مختلف يحتاج أيضاً إلي الصبر والتدريب اليومي، لذلك جاءت الصلاة وجاء معها "وأصطبر عليها".

يحضرنى هنا مشهدين للفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أولهما قبل إسلامه والآخر بعده ..

المشهد الأول يصور لنا تلك الشخصية الصلبة ذو الطابع الغليظ، داخل تلك الشخصية رفض عمر حتي النقاش مع أخته التي أعلنت إسلامها وأنها عليها ضرباً حتي سال الدم من وجهها ..

في ذلك الوقت لم يكن عمر أميراً أو رئيساً حتي لم يكن له حق التدخل بهذه الصورة في إختيارات أخته التي كانت لها حياتها الخاصة، مع العلم أن هذا المشهد كان في بيت أخته علي مرأي ومسمع من شخصين أو ثلاثة.

في المشهد الآخر يقف أمير المؤمنين عمر رئيس أقوى دولة في ذلك الزمان علي منبر رسول الله - صلي الله عليه وسلم - مخاطباً المسلمين في مسألة تتعلق بمهور النساء فتقاطعه امرأة علي مرأي ومسمع من حضور المسلمين وتعدل عليه رأيه .. فيصمت الفاروق - رضي الله عنه - بالرغم من أن مقاطعة الخطيب ليست من الأدب ولا تجوز وكان يحق لعمر أن يسكت هذه المرأة إن أراد، ولكنه قال أمام حضور المسلمين "أصابت امرأة وأخطأ عمر .. كل الناس أفاقه منك يا عمر" !!

بين المشهدين نري ثمرة "وأصطبر عليها" واضحة جلية، فلولا ذلك التأثير الذي تضيفه الصلاة يوماً بعد يوم في نفس وسلوك كل مُصلٍ لما اختلف "عمر قبل" عن "عمر بعد" .. فأصطبر عليها.

◀ صلاة الفاروق

ينبغي لنا أن نأخذ الفاروق عمر بن الخطاب نموذجاً لما يجب أن تفعله الصلاة بنا، فقد استطاع الفاروق أن يجعل من الصلاة وسيلة لتغيير العالم، لقد وعها وفهمها كما يجب أن تكون، لذلك فقد كانت إقامته للصلاة مختلفة تماماً عن تصوراتنا للصلاة، فقد إنتقل بصلاته ليربطها بالواقع ليطباقها مع الهدف الذي عزم علي تحقيقه وهو تغيير الواقع.

ومن هذا التطابق، جملة قالها عمر الفاروق، نقلت لنا عنه من داخل صلاته، قال "إني لأجهز الجيوش في صلاتي" .. كانت صلاته تمده بتلك الطاقة حتي تجعله يرتقي، يرتقي بنفسه أولاً ومن ثم يرتقي بالواقع فيغيره، فقد كان يعرف وهو يقيم الصلاة أن مهمته تحويل القيم من صلاته إلي واقع يعيشه العالم.

(١٤)

هكذا عرفته

ماذا لو أن الشخص المسئول عن المكان الذي تعمل فيه، مالِكه أو مديره، هو شخص شديد القربة منك، بل ويحبك حب شديد، لك عنده معزة خاصة .. وجاء أحد العاملين أو الموظفين في هذا المكان ووجه إليك تهديداً من نوع ما، مثلاً أنه سوف يعزلك من عملك ..

إن قابلت هذا التهديد بإبتسامة سخرية فلن يلومك أحد، فمالك هذا المكان ومديره لن يرفض لك أي طلب تطلبه تجاه هذا الموظف أو العامل الذي لا يملك من أمرك شيء ..

وإن قابلت هذا التهديد بشيء من الخوف أو القلق فسيتهمونك بالبلالة أو الجنون، فكيف لك أن تقلق ومالك هذا المكان قريب منك ويحبك وأنت عزيز عليه !!

وماذا لو أن كل أمر في حياتك، صغيره وكبيره، مفتاحه مع شخص ما .. تلك الوظيفة التي تمنّاها، هناك شخص ما يستطيع أن يؤمنها لك .. ذلك الدين الذي أرهقك، هناك شخص ما سيدفعه عنك .. الخلافات التي لا تنتهي بينك وبين زوجتك، يوجد شخص ما يستطيع أن يسويها ..

لو أن هذا الشخص قريب منك ويحبك، كيف ستبدو حياتك؟؟

لو أن الحياة ستكون علي هذه الشاكلة، فلا داعي للخوف أو القلق أو الحزن، فكلما أصابك أمرًا ما، ذهبت إلي ذلك الشخص الذي يملك مفتاحه فكفاك إياه، لن يضرّك إن اجتمع عليك كوكب الأرض كله.

هل تعلم أن الحياة التي ينبغي عليك أن تحياها هي تلك الحياة !! حياة بلا خوف وبلا هم وبلا حزن .. نعم .. هكذا أراد لك مالك هذه الدنيا مقابل أن تتصالح معه فقط، أن تطيع أمره وهو

يكفيك كل شيء، لله المثل الأعلى وليس كمثل شيء، كما أن رب العمل لحبه الشديد لك ولقربته منك يقدر علي طرد هذا الموظف الذي وجه إليك تهديد، رب العالمين إن أحبيك كفأك كل شيء..

◀ الله أكبر

ولأن الإنسان كثيراً ما ينسي تلك الحقيقة، جاءت الصلوات لتُذكره بها وتكررها عليه مراراً وتكراراً، فلا تصح الصلاة إلا بتكبير الإحرام حيث يبدأ المصلّ صلاته بقولة "الله أكبر" وكأنها تذكير بأن كل ما أهمك أو أخافك أو أحزنك قبل الصلاة لا مكان له هنا، فالآن قد جئت للذي هو أكبر منه، تماماً كما يجري الطفل علي والده إذا رأي ما يخيفه أو يحزنه، وليس كمثل شيء سبحانه، فأنت تفر إلي الله تعالي مع كل صلاة حتي ترسل رسالة للدنيا كلها بأن "الله أكبر".

◀ رب العالمين

ثم تقرأ أول ما تقرأ في صلاتك، أول آية في الفاتحة أم القرآن،
السورة الأكثر تكراراً في حياة أي مُصلٍ:

"الحمد لله رب العالمين"

فهل علمت لماذا تحمد الله تعالى في بداية صلاتك وكل ركعة
تركعها؟

تحمده لأنه هو رب العالمين ..

رب كل شيء .. رب الملوك ورب الرؤساء .. ورب العباد
ورب الشركات والأموال ورب الزوجات والأولاد ..

وكانها رسالة منك ولك، هل تعرف طبيعة تلك الرسائل التي
تحدث بها نفسك لتطمئنها أو تحفزها أو تقوي بها ثقتك في
نفسك، هذه الرسالة هي أعظمهم، وكأنك تقول لنفسك إهديني
وَإِطْمِئْنِي فَأَنَا الْآنَ أَمَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فالحمد لله أنه هو رب العالمين، أترى لو أن هناك شريكاً لله سبحانه في ملكه -تعالى الله عن هذا علواً كبيراً- سيكون الله سبحانه وتعالى رب العالمين إلا هذا الشريك، لذلك قال الله العظيم "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً .. ولم يكن له شريك في الملك .. ولم يكن له ولي من الدل .. وكبره تكبيراً" نعم الحمد لله ربي الذي لا شريك له ولم يكن له ولي.

فهم سيدنا هود - عليه السلام - معني رب العالمين فتحدي بها قومه قائلاً "فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون .. إني توكلت على الله ربي وربكم .. ما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها .. إن ربي علي صراط مستقيم"، رجل واحد يتحدي قومه كلهم أن يكيدوا له ولا يخشاهم، ليس هذا فقط بل يسألهم أن يعجلوا له بالكيد، لأنه علم أن لا أحد يملك أمره إلا رب العالمين، تلك هي الثقة التي يجب أن تغمر كل منا كلما قرأنا "الحمد لله رب العالمين".

الحمد لله رب العالمين الذي عرّفنا قدر كل من هم دونه أياً كانت قوتهم أو مناصبهم أو عدّتهم أو أموالهم، وكان وصف القرآن عجباً لهم حيث قال الله العزيز "والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير" القطمير هو الغشاء الرقيق الموجود علي نواة التمرة، تلك التمرة التي غالباً ما تسقط من فوق نخلة حيث تُصبح مجانية لمن إلّتقطها (إن كانت النخلة لا تنتمي لبستان شخص ما) .. يصف الله العزيز كل من ندعوه من دونه أياً كان هو بأنّه "ما" يملك حتي هذا القطمير الذي لا يكاد يُري حول نواة تمرّة لا يشك من يحملها أنها ملكه ملكية تامة.

وما يدعوا للتأمل هو إستخدام لفظة "ما" للنفي وليست لفظة "لا" .. ما يملكون من قطمير .. عندما تُستخدم "ما" للنفي تفيد نفي الواقع في الحال، فثلاً لو سألتك أن تقترض مالاً من فلان الذي يجلس بجانبك وأنت تعلم أنه فقير مُعدم فستقول فلان ما يملك المال أي أنه لا شيء يملكه الآن في جيبه ..

لذلك إذا حدثك نفسك بأن تسأل فلان لأنك تراه الآن يملك منصباً أو مالاً أو سلطاناً، فرب العالمين يخبرك أنه ما يملك من هذا شيئاً، فالحمد لله رب العالمين .. أما "لا" فتفيد نفي المستقبل بمعنى أنهم يمكن أن لا يملكون هذا في المستقبل ولكنهم يملكونه الآن، لذلك كان "ما" بدلاً من "لا" .. فقل الحمد لله رب العالمين.

ضرب لك مثلاً حتي تعرف كيف تحيا تلك الحياة بطمئينة وسكينة، فقال تعالى في سورة النحل:

" ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء .. ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً .. هل يستون "

العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو أي عبد لله تعالى في هذه الدنيا أياً كانت رتبته ومنصبه، رئيس أعظم دولة أو مدير أغني شركة أو قائد أقوى جيش، وصفهم الله القدير بأنهم لا يقدر على شيء، لأنهم مملوكين لله العزيز الذي له ملكوت كل شيء .. فكيف لك أن تساوي بين هؤلاء العبيد المملوكين وبين مالكمهم وربهم القادر على كل شيء.

◀ حكاية الدنيا

يتحدثون دائماً عن الحياة الدنيا بأنها دار شقاء ومنزل ترح لا تخلو من الهم والحزن والغم، نعم نعم هي هكذا وهكذا خُلقت، ولكنهم لم ينقلوا لك الصورة كاملة، لم يكملوا لك حكاية هذه الدنيا.

ما لم يخبروك به أن رب هذه الدنيا والمهيمن علي كل شيء فيها قال لك:

"إن الإنسان خلق هلوعا .. إذا مسه الشر جزوعا .. وإذا مسه الخير منوعا .. إلا المصلين .. الذين هم علي صلاتهم دائمون"

نعم هي الدنيا بها ما بها من الهلع والجزع والكبر، بها ما بها من الهم والحزن والخوف، لكن إن كنت من المصلين المحافظين علي الصلاة كما أرادها رب العالمين، فأنت مستثنى من هذا كله، هكذا أخبرنا خالق هذه الحياة الدنيا ولا أحد أعلم منه سبحانه.

ما لم يخبروك به أن رب هذه الدنيا وخالق كل شيء فيها أرسل رسالة إستفهامية لكل نفس علي وشك أن تنسحب أو تيأس أو تجزع في معركتها مع هذه الدنيا إذا عصفت عليها بمصائبها فقال
القدير:

"أمن جعل الأرض قراراً .. وجعل خلالها أنهاراً .. وجعل لها
رواسي .. وجعل بين البحرين حاجزاً .. إله مع الله ..
بل أكثرهم لا يعلمون"

أمن جعل الأرض قراراً .. من أقر هذه الأرض التي تمشي
فوقها فجعلها مُستقرة مطمئنة لبلايين السنين قادر علي أن يربط
علي قلبك ويغمرك بطمئينة تكفيك لمواجهة أحزان هذه الدنيا
كلها، وإذا ربط الله القوي المتين علي قلبك فما يضرْك!!

وجعل خلالها أنهاراً .. من فتح هذه الأرض وجعل خلالها
أنهاراً تجري إلي يوم القيامة قادر علي أن يفتح لك كل بابٍ

مغلق فهو عليه أهون، وإذا كان الله الفتح معك فما يضرك إن
كانت أبواب هذه الدنيا كلها مغلقة !!

وجعل لها رواسي .. من ثبت هذه الأرض بالجبال العظيمة
قادر علي أن يثبتك في مصيبتك فهو عليه أهون، وإذا ثبتك الله
الثابت في مصيبتك فما يضرك !!

وجعل بين البحرين حاجزاً .. ربُّ حِزْبٍ بحرين بعضهما عن
بعض، ماء وماء ولكن لا يطغي بعضهم علي بعض بدون أي
وسائل عزل خارجية، أليس بقادر أن يحجز عنك كيد
الكائدين وحسد الحاسدين !!

تذكر هذه الآيات دائماً عندما ترهقك هذه الحياة الدنيا، وكلما
همست إليك نفسك أن تجزع أو تيأس أتلوا عليها الآية التي تليهم:
"أمن يجيب المضطر إذا دعاه .. ويكشف السوء .. ويجعلكم
خلفاء الأرض .. إليه مع الله .. قليلاً ما تذكرون"

صدق ربي العظيم، نعم! جاءت هذه الآية بعد آيات تتحدث عن خلق الأرض والأنهار والجبال والبحار حتي تطمئن.

ربما يضيق عليك صدرك أحياناً، ربما تُغلق أمامك أبواباً، ربما نتعرض لفتن تظن أن لا طاقة لك بها، هذا هو حال الدنيا الذي خُبرنا به .. لكن رب هذه الدنيا أرسلها لك مباشرة واضحة:

" أإله مع الله "

هو خالق هذه الدنيا وهو الواحد القادر أن يكفيك شرورها ومصائبها .. إذن فلتكن الدنيا كما تكون، لا تهتم لها، وإن جارت عليك إشتكيها لربها ومالكها، وإن أردت طيبها إسأله من بارئها.

◀ لماذا الابتلاء؟

ولو كان الأمر هكذا إذن لماذا هذه الابتلاءات التي يسوقها لنا الله الحكيم واحدة تلو أخرى؟!

الحكمة من الابتلاء هو الإضطرار، أن تلمس المستحيل قياساً على الحسابات المادية ونظرة البشر المحدودة للأمور فتضطر إلى أن تفر إلى الله (إن أردت) فيُصبح المستحيل ممكناً فتشعر وكأنك ولي من أولياء الله في الأرض، لأن مع الإضطرار وسؤال الله القوي المتين يأتي التمكين ..

أي إنك إذ كنت مضطراً فلجأت إلى الله الواحد الصمد فكشف ما بك من سوء فأنت الآن في طريقك إلى تُمكّن:

"أمن يجب المضطر إذا دعاه .. ويكشف السوء .. ويجعلكم خلفاء الأرض"

سيجعلك من خلفاء الأرض بعد أن كنت مضطراً، معادلة بسيطة تتكون من شرطين، الإضطرار ثم الدعاء، لكن أكثرنا إن كان مضطراً سأل غير الله سبحانه وتعالى أو إذا أراد أن يسأل الله السميع القريب، أتى بشخص يدعو له فضاعت المعادلة وضاع التمكين.

أيضاً "الله أكبر" تلك التي تفتتح بها صلاتك تكون مختلفة في الشدة عنها في الرخاء، تكون عالية مدوية في السماء حتي وإن بدت ساكنة هادئة علي الأرض، الإبتلاءات والمصائب هي التي تعيد لـ "الله أكبر" قدرها في نفوسنا قبل أن تصبح كلمات باردة نقولها ونحن لا نشعر بها، فلتكن الدنيا كما تكون وليكن الناس كما شاؤوا ولتكن أنت مع "الله أكبر" كلما أرادت الدنيا أن تبدأ معركة جديدة عليك، لن يرهقك إبتلاء مادمت متكاً علي "الله أكبر".

وكيف لنا أن نشعر بجلالة "الحمد لله رب العالمين" من دون
إبتلاء في زمن ألفنا فيه النعم، نستيقظ وقد أبصرنا وسمعنا
ومشينا وأمننا فيسألنا أحدهم عن حالنا فنقول لا جديد!! ..

تهبط الطائرة بسلام وكما قبل دقائق في موضع أقرب فيه للموت
من الحياة، فتجدنا نخلع أحزمة الأمان بتأفف وننظر إلي هواتفنا
متذمرين بدلاً من أن نسجد شكراً للذي قال عن ذاته سبحانه:

"ما يمسكهن إلا الرحمن"

لهذا وأكثر كان لابد من الإبتلاء حتي نعي قولة "الحمد لله رب
العالمين" التي تخرج في أبهى صورة لها بعد ضيق كاد أن يخنقنا
وكانها جلسات كهربائية تنعشنا حتي لا نفقد وعينا الإيماني.

لربما أخبروك أن الحظ السيء هو نصيبك في هذه الحياة الدنيا
وأن سعادة الحظ ليست قدرك .. أولئك الذين لم يفهموا عن الله
الرزاق الفتح الذي أهدي لك معادلة الحظ واضحة بسيطة من
دون تعقيدات ..

إذا أردت تكون محظوظاً فعليك بالتقوي، دع كل ما أخبروك
به عن الحظ وأسمع من العليم الخبير قوله:

" ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب "

أعبد الله كأنك تراه تكن محظوظاً موفقاً، هكذا وعدك خالق
هذه الدنيا وزوال هذه الدنيا أهون علي خالقها من ألا يحقق
وعده لك.

◀ فهو يشفين

وأحياناً تلعب معك الدنيا لعبتها فتجد نفسك مُصاباً بمرض خارج الحسابات، تلك الحسابات التي أعددتها وخططت لها مُعتبراً أن معامل الصحة فيها آمناً لن يمسسه سوء، نعم هكذا خُبرنا عن هذه الدنيا ومفاجئتها الغير سارة لنا ..

لكن مالك هذه الدنيا والمهيمن علي كل شيء فيها أخبرنا علي لسان خليله إبراهيم -عليه السلام:-

"وإذا مرضت فهو يشفين"

فلتكن الدنيا كما تكون بغلاظتها وقسوتها ولتكن أنت مع هذا الذي بيده شفاؤك، مع الرحيم الودود الشكور الحميد اللطيف القدير.

يُخبرنا الشيخ الطبيب عبد المحسن الأحمد أن امرأة عمرها ٤٢ سنة دخلت عمليات القلب تمشي علي قدميها تبصر تسمع تنطق لكن توقف قلبها وسط العملية فجأة فأنعشها الأطباء، عاد قلبها للنبض لكن خلال عملية إنعاش القلب تعطل وصول الدم للمخ لمدة ٣ دقائق فقط فمات خلايا المخ - الحمد لله رب العالمين الذي يضخ الدم لخلايانا من دون حول منا ولا قوة - يقول الشيخ الطبيب أن خلايا المخ إن ماتت لا يحييها إلا الذي خلقها أول مرة، خرجت المرأة من العملية لا تري لا تسمع لا تتكلم لا تمشي لا تتحرك.

لمدة تسعة أشهر والمرأة علي هذا الحال، ميتة دماغياً، جثة هامدة بقلب ينبض تنفس بفتحة في الحنجرة .. وبينما كان يمر ليلاً أحد الأطباء العارفين بالله ممن فهموا كيف يتعاملون مع هذه الدنيا، وجد ابن هذه المرأة يبكي بكاءً شديداً فسأله فقال الابن إنه حزين لأنه لن يكلم أمه إلا يوم القيامة، فسأله الطبيب من أخبره هذا، فقال الابن أن كل أطباء المستشفى يقولون أن أمه لن تتكلم ولن تتحرك إلي أن تموت.

قال الطبيب الفاهم عن الله العليم الرحيم، هل خلق لها أيًا من هؤلاء خلية مخ واحدة؟؟ فليقولوا ما شأؤوا ولنسمع نحن للعليم الخبير القائل "وإن يمسسك الله بضرٍ .. فلا كاشف له إلا هو" ثم بدأ يقرأ آيات عجيبة علي تلك الجثة الميتة دماغياً، قرأها يقيناً بالذي خلق كل شيء، بدأ بفاتحة الكتاب ثم قرأ آيات من سورة الإسراء: "وقالوا أئذا كنا عظاماً ورُفاتاً أئنا لمبعوثون خلقا جديداً" وهو يقول يارب هذه فقط خلايا ميتة ليست عظام ولا رُفات.

ثم أكمل رد الله الباريء علي هؤلاء الذين يشككون في البعث فقرأ "قل كونوا حجارة أو حديداً .. أو خلقا مما يكبر في صدوركم" يقول الله العظيم حتي لو كنتم شيء لا ينتمي لخلقة البشر كالحجر والحديد، بل تخيلوا أي شيء تظنون أنه مستحيل علي قياسكم أن يُبعث بشراً .. وكأنها رسالة للأطباء الذين قالوا أن خلايا مخ تلك المرأة ستظل ميتة.

"فسيقولون من يعيدنا .. قل الذي فطركم أول مرة .. فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو .. قل عسى أن يكون قريباً" قرأها وهو يستبشر بعسي أن يكون قريباً.

ثم قرأ آيات أخرى من سورة الروم "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره .. ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون" قرأها وهو يقول سبحانك ربي .. تقوم السماء والأرض كلها بأمرك .. ألا تقوم هذه المريضة !!

"وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده .. وهو أهون عليه .. وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم" قرأها وهو يناجي ربه .. يارب لا أسألك الخلق كله .. يارب أسألك خلايا هذه المسكينة.

ثم قرأ آيات من سورة البقرة "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .. فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم" قرأها وهو يقول يارب أسألك أن تُحيي هذه المرأة الميتة دماغياً.

"أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها .. قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها .. فأما الله مائة عام ثم بعثه .. قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم .. قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً .. فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير" قرأها وهو ينظر للأشعة المقطعية لخلايا تلك المرأة وكيف أن خلايا المخ بدت وكأنها خاوية علي عروشها .. قرأها وهو يقول يارب أمتّ الرجل مائة عام ثم أحْيَيْتَهُ، هذه الخلايا ميتة تسعة أشهر فقط يارب .. قرأها وهو يقول يارب قال الطب أن الخلايا ستظل ميتة إلي يوم القيامة لكنك علي كل شيء قدير .. قرأ كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً وهو يتخيل أن الله القدير يحيي هذه الخلايا.

قرأ هذه الآيات ثم نادي علي تلك المرأة فهزت رأسها .. طلب منها تحريك أطرافها ففعلت .. ثم فتحت عيونها فأنكب إليها يقبل قدميها بينما تصيح الممرضة (الغير مسلمة).

أعيدها عليك .. فلتكن الدنيا كما تكون .. ولتكن أنت مع الله الذي هو علي كل شيء قدير.

◀ فعال لما يريد

أن يُحكم عليك بالقتل قبل أن تُولد، حدث هذا وما زال يحدث في دور تنفن فيه هذه الدنيا بفرض قساوتها، حيث يري أحد الملوك ماهويس الحكم رؤية تنبئه بزوال مُلكه علي يد رجل يولد في عصره فيأمر بقتل كل مولود ذكر، أترى كيف كان حال أمهات تلك الفترة؟ ليس غريباً علي هذه الدنيا فهذا ما عرفناه من طباعها، أيضاً ليس غريباً علي الله القوي -سبحانه وتعالى- أن يُسقط مخططات الدنيا كلها، فهو مالکها بل هو خالقها.

ربما كان أهون علي أمهات تلك الفترة أن يُقتلن بدلاً من أطفالهن، فشعور الخوف تملكن منهن لا محالة مُساوياً بين قتلهن أو قتل أطفالهن لكن مرارة الحزن والأسى زادت في الثانية فجعلت الأولي أهون وفي كل حالة نادرة من الذعر والخوف واليأس.

كان هذا مصير طفل لم يولد بعد، كان هذا مخطط الدنيا له الذي بدا وكأنه لا مفر منه حتي دخل مُعامل جديد في الحسابات، هذا المُعامل قادر علي أن يقلب أي مخططات أينما وُجد.

حب الله .. أحب الله القوي هذا الطفل - وقد علمت كيف يحبك أنت أيضاً- فتغير كل شيء، نعم هو طفل لا حول له ولا قوة، وكذلك أمه امرأة ضعيفة لم تستشفي بعد من ولادته، لكن ليس المهم من هو أو من يكون لكن المهم من معه !! فهو الآن معه الله القوي المتين ..

كان قلب أم موسى -عليه السلام- يهلع كلما صرخ أو بكى، وكانت تحاول أن تُسكته بشتي الطرق، فإلتفاته واحدة من جنود فرعون تُنهي حياة طفلها.

سيطر هذا الهلع والخوف علي قلب أم موسى -عليه السلام- حتي جاءت بها رسالة من الحي القيوم الذي يعلم كل شيء وله كل شيء، ماذا كانت تحوي هذه الرسالة ؟ كانت تحوي نوعاً من التحدي يفوق قدرات إستيعاب البشر، رسالة تأمرها أن تُلقي بإبنها في البحر إذا إشتد خوفها عليه !! ذلك البحر الذي يخشاه الرجال الأقوياء الأشداء، الذي ربما يخشاه جنود فرعون أنفسهم، سُلُقي فيه طفل رضيع لا حول له ولا قوة وكأن الرسالة هي لا يهَم من أنت لكن المُهم من معك:

"وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه .. فإذا خفت عليه فألقيه في اليم .. ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك .. وجاعلوه من المرسلين".

ونري هنا قانون الإضرار يعيد نفسه، لقد ذكرنا أن الإضرار يأتي بعده تمكين، وهاهو ذلك الطفل الرضيع الذي حكم عليه بالقتل قبل أن يولد ينجيه الله القدير ليجعله من المرسلين.

والعجيب أن أول النهار كانت تخاف أم موسي أن يصرخ إنها فيقتله فرعون وجنوده .. آخر النهار موسي في قصر فرعون يصرخ بملء فيه وفرعون يبحث كيف يرعاه ويأتي له بالمرضعات:

"إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى .. أن اقذفه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل .. يأخذه عدولي وعدوله .. وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني .. إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله .. فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن".

هذا الإله العظيم الذي طمئن أم موسى -عليه السلام- وهي في حالة نادرة من الهلع والخوف ب:

"ولا تخافي ولا تحزني"

هو نفسه الإله الذي أرسل لي ولك:

"وفي السماء رزقكم وما توعدون"

حتى يطمئن قلبنا ونجتهد في تزكية أنفسنا دون حاجة لسؤال البشر، وهو نفسه الإله الذي أرسل لنا:

"وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"

حتى نحيا حياة سعيدة ونُخرج من حساباتنا مفاهيم الحسد والسحر والجن ونعلم أن لا شيء يصيبنا إلا بإذن الله العزيز فنجتهد في طلب حبه.

فلتكن الدنيا كما تكون .. وليدبر لك الناس كما شاؤوا .. ولتكن أنت مع الله الجبار الذي نجي موسى -عليه السلام- بالبحر وهو طفل لا حول له .. وجعل نفس البحر هو سبب هلاك فرعون وجنوده وهم في أبهى صورة لهم وأقوى عُدّة لهم حتى تعلم أنه إن كان الله معك .. فمن عليك !!

◀ السر

أباح نوح -عليه السلام- بالسر بعد أن إستنفذ كل الطرق في هداية قومه، ٩٥٠ سنة من الدعوة لم تؤت ثمارها فقرر نوح - عليه السلام- أن ييوح بالسر كأخر أداة يملكها عسي أن يكون سبباً في هداية قومه.

رغم أن هذا السر حوي كل ما يريده ويرجوه ابن آدم في هذه الحياة الدنيا وجعل هذا مرتبط بعلاقة خاصة مع خالقه يحكمها شرط إن أخذ به ابن آدم جاء جواب الشرط تحقيقاً لما يرجوه ويحلم به .. إلا إن قوم نوح -عليه السلام- إستهانوا بهذا السر ولم يأخذوا بشرطه وأصرّوا أن آلهتهم قادرة علي أن تحقق لهم أحلامهم .. فأغرقوا جميعاً.

والعجيب أن الله الكريم الودود أرسل لنا هذا السر في رسالة مباشرة واضحة دون إنتظار منا لمئات السنوات، أراد الله عز وجل لنا أن نعلم هذا السر الذي ربما كان مخصوصاً به الأنبياء فقط فجعله في كتابنا متاحاً لكل من يأخذ به ..

والأعجب أن رد فعلنا لم يكن مختلفاً عما فعله قوم نوح -عليه السلام- فإستهان الكثير بهذا السر وذهب كل لإله خفي نصبه لنفسه يسأله تحقيق مراده.

أخبرنا القرآن الكريم علي لسان نوح -عليه السلام:-

"ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً"

وكأنها آخر أداة يريد أن يجذب بها قومه للإيمان .. فجاء الشرط:

"فقلت إستغفروا ربكم"

الإستغفار هو طلب الغفران بصدق من الله الغفور أيًا كانت صيغته .. جواب هذا الشرط (فقلت إستغفروا ربكم) هو تقريباً كل ما يتمناه ابن آدم في هذه الحياة الدنيا:

"إنه كان غفاراً"

"يرسل السماء عليكم مضراراً"

"ويمدكم بأموال وبنين"

"ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً"

هذا وعد ممن له خزائن السموات والأرض، ذكرت قبل ذلك أن زوال الدنيا أهون علي الله العزيز من أن لا يحقق وعده، فلتكن الدنيا التي خُبرنا عنها كما تكون، ولنكن نحن مع وعد الله الودود لنا .. نستغفره فيتوب علينا ويعطينا زينة هذه الدنيا.

عرفته فعشقه

لا تجتهد لتصلي بل اجتهد لتتعرف علي الله تأتيك الصلاة

(١٥)

خاتمة عاشق

لكل من إشتاق لذلك النور في حياته المظلمة
ولكل من يبحث عن سلام يداوي به هلع نفسه
لكل من أسرف علي نفسه ..
منتظراً أمطار الغفران .. تعيده إلى رشده

فر لبوابة الصلاة .. من بوابة الصلاة تستطيع أن تخرج من
كهف ذاتك إلي سماء روحك فتُحلق في نسيم الأُنس بالله ..
تنهل منه نوراً لحياتك المظلمة .. وسلاماً لنفسك الكثيرة ..
ورضواناً مضيئاً تحرق به ذنوبك!

ليس لك إلا أن تفر من أغلاك قاصداً بوابة الصلاة فتتظر إلي
نفسك من مرآة هادئة، لا إنفطار فيها ولا أعوجاج فتمد بصرك
الحائر إلي أفق أبعد من مدار النظر فيما وراء النظر .. فتجد
نفسك وتحتضن قلبك الذي كان تائهاً يبحث عن حياة لم يحياها
فتعلم أنك في حضرة الصلاة!

وفي حضرة الصلاة تعرج أجنحة نفسك بعيداً عن برك الهموم
والأحزان، فأبواب السماء تُفتح لاستقبال تلك اللحظات النورانية
.. بينما يدبر إبليس محتباً من ذلك النور الذي يخترق الآفاق ..
فتتحرك قلوب الكائنات كلها، وترتفع أعينها إلي السماء فترتوي
أرواحها بذلك المدد الإلهي.

ها أنت إذن تدخل خلوة الإيمان مفارقاً تيه الوحشة والضياع،
مستقبلاً مقام الأنس بذكر الله الجليل فشد ثيابك إلي أعتابه
وذق من كؤوس التعبد نوراً وسلاماً وغفراناً .. وأحذر أن
ينجرف بصرك فتلتفت .. فيلتفت !!

و أني لعبد في مقام الخشوع أن ينصرف عن مشاهدة الجمال،
كل شيء يتلاشي الساعة خلفك، حتي فكرك يتألم إذا اختلف
عن الضياء المتجلي للخاصعين، قلبك مفتوح الأبواب لا تخفي
منك خفقة قلب واحدة، فالجليل مقبلاً عليك ناظراً إليك.

إن عبادة فُرضت في السماء، بغير واسطة الملاك، لحرية
بالإرتقاء صعوداً بعشاقها إلي مقامات السماء .. فإصطبري يا
أبدان علي إدامة التطهر، فإن غصناً ينبت في جوار الغدير لا
يجف أبداً، إن لم ينل من فيضه، نال من نسيمه ونداه، وللطريق
مكاره لا يطفئ لهيها إلا أمطار الصبر، فالإصطبار ثمرة من
شجرة الإفتقار إلي الله.

و لفاتحة الكتاب عجائب تذب معها الأمانى المستحيلة، تنفض
عن كاحلك كل أثقالك لتضعها بين يدي الرحمن الرحيم فيأيه
نعبد وإياه نستعين، فتحس بنعمة اليقظة ولذة القرب ممن
وسعت قدرته وعظمته سعة الكون وضخامته، فيهدأ هلعك
وتطمئن نفسك.

ليس لهذه النفس المطمئنة إلا أن ترسل عبرات الفرح بالله،
فتمد أغصانها المورقة حمداً وثناءً وتحيداً مستزيدة بكرم الله
ونعمه فتفتح سروراً بين ضلوع العبد وهو يشعر بجواب سيده،
فتقف الذات المستجيرة بجوار الله فيجيبها بإلقاء نور السلام علي
غصنها المضطرب بين خوف ورجاء فإذا الطمأنينة ينفث أمامها
سهول فسيحة ينال العبد منها ما يشاء.

فيزداد شوقك إلي موضع سجودك فترمقه بعينين خاشعتين،
ويتسع الإحساس بعظمة الملك في قلبك وأنت تجول في مملكته
حتي يملأ عليك جميع مكانك، فأبي قلب هذا الذي لا يتصدع
من خشية الله ولا يذوب صخره تحت سلطان الله وعظمته،
فتستبد بك رغبة قوية في الهبوط من خشية الله .. فتحنى راکعاً
له !!

فتهاوي عروش الغرور ركوعاً لعظمة الله في مقام تقويم النفس
ورياضتها وهي منحنية إجلالاً لسيدها وكلها طال إنحنائها إزداد
إرتقاؤها إلي أفق المعرفة بالله ..

فإذا بدقات القلب أهدأ ما تكون وألطف ما تكون، فتتكشف عنه ظلمات الشرود ويهب عليه نسيم الخشية فترتعش كل الجوارح داخل نسيم الرهبة .. فإذا بتجليات الهيبة والجلال لذي القوة والجلال تنساب علي الأنفاس.

فتستقيم واقفاً متأدباً حمداً وثناءً إعترافاً بجميل العطاء .. فترجع الأنفاس إلي أنسيابها عاجزة عن مقابلة كل عطاء بشكر وكل إنعام بحمد فتملؤك رغبة في الحمد خراً إلي الأرض ساجداً، فيتدفق نور الجليل علي بساط سجودك فإذا بتراب الأرض جواهر تشع بجمال السكينة والطمأنينة بين يديه تعالي ..

فدق الباب فتلک درجات المقام الأقرب، فارتق في معارج المقربين حتي تغمرک أمطار الغفران فتمسح عنک عناء السفر وتومض حولک أطياف العطاء.

أنت في أقرب خفقة من رب العالمين في مقام لا تفسده عليك
أمواج الزمان والمكان بضجاتها .. فيا أيها الشارد عن قافلة
السالكين، ذق سبعة واحدة لثري مقدار ما انت فيه من
حرمان، دع عنك عذل العذلين ولذع الساحرين وزجر المتكبرين
وانصرف بوجهك إلي مولاك .. وافتح باب سجودك .. فإن لك
فيه مقاماً يكفيك بما يعجز عن شرحه البيان ووصفه اللسان.

ثم ترفع رأسك خاشعاً بين يدي مولاك .. ترفعه دون أن ترفع
بصرك .. فالجليل ما زال قبلك، يرقبك من فوق عرشه العظيم ..
أجلسك الكريم بين يديه وهو ذو العرش المجيد، قاصم الجبارين
ومُذل المتكبرين .. وكان خليفاً بالعبد ألا يُري عند مولاه إلا
واقفاً ممتثلاً يسمع أمره ونهيه في خشوع .. لكنه الله .. الملك
الكريم .. يقبلك عنده جالساً كأنك علي ظهر براق يطوي بك
السموات !!

وتمضي في تأملات الغفران .. ذاكراً متفكراً .. رب اغفر لي ..
رب اغفر لي .. حتي يغلبك نافع الشوق فتضرب بجناحيك إلي
المقام الأقرب مرة أخرى .. ساجداً لله الواحد القهار.

فيتجلي ربك بجماله وجلاله علي قلبك النابض .. ويأذن لك
بالتحية .. ياله من كرم وياله من إنعام .. تلك التحيات الطيبات
المباركات إنما هي لرب العالمين .. ثم تدعوا مأذوناً بالسلام
لحبيب الحمن .. السلام عليك أيها النبي .. سلاماً يوقد الأنوار في
أجنحة القلب.

يا لجمال هذا العبد المحرم في صلاته .. راحلاً إلي الله .. يبتغي
فضلاً منه ورضواناً .. مضرباً عن غوغاء السكاري الشاردين في
بحيم الضياع .. ما أجمله وهو يمتطي راحلة النفس المطمئنة
فيقطع المسافات التي تقصر عن إستيعابها الأعمار فيختزلها بين
ركوع وسجود في قافلة من السائرين !!

الفهرس

- (١) فاتنتي صلاة !!! _____ ١
- (٢) يومًا ما!! _____ ٧
- (٣) قبل أن تصلي _____ ١٥
- (٤) أنت أفكارك _____ ٢٥
- (٥) الصفة المعجزة _____ ٤١
- (٦) لا طاقة لك _____ ٥٣
- (٧) ألك حاجة ؟! _____ ٧٢
- (٨) دواء العادة _____ ٨٧
- (٩) كُن صباحًا _____ ١١١
- (١٠) بيتٌ هناك _____ ١٣٩
- (١١) وترتيبها _____ ١٤٧
- (١٢) حماقات إرتكبتها _____ ١٥٤
- (١٣) وأصطبر عليها _____ ١٦١
- (١٤) هكذا عرفته _____ ١٧٢
- (١٥) خاتمة عاشق _____ ٢٠٠